نبوءات دانيال

د. الشفيع الماحي احمد

الفهرست

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	2
النبؤة الأولى	4
النبؤة الثانية	20
النبؤة الثالثة	29
النبؤة الرابعة	49
النبؤة الخامسة	57
النبؤة السادسة	64
النبؤة السابعة	72
الهوامش	81

مقدمة

أعتاد الآشوريون في سياستهم تجاه البلاد المفتوحة بقوة السلاح، أن يجلو عنها غالبية السكان، ويأتون بأناس آخرين من جهات الإمبراطورية المختلفة يعمرون بهم البلاد، وذلك لضمان حفظ الأمن أو القيام بأي شكل من أشكال الثورة والتمرد.

أما سياسة البابليين فكانت تقضي بأخذ ذوي المواهب والخبرات العلمية والعملية من سكان البلاد المفتوحة ليضمنوا ولاءهم من جهة وللاستفادة من ذكاءهم وعلمهم وخبراتهم في مشاريع الدولة المختلفة من جهة أخرى، كما تسمح لهم بالعيش معاً داخل المدن البابلية، وأن يصبحوا جزءاً هاماً من المجتمع، تاركين وراءهم المساكين والضعفاء لاستمرار الحياة في بلادهم وتعميرها.

ولما أحتل نبوخذ نصر الملك البابلي مدينة أورشليم عام 605 ق.م أتبع السياسة نفسها. فأخذ عقب عودته إلى بابل العلماء والحكماء والصناع، وكذلك أجمل نساء المدينة، وكان دانيال ضمن هذه المجموعة من كبراء القوم وأشرافهم.

ولد دانيال في منصف حكم الملك يوشيا(638 – 608 ق.م) أي حوالي عام 618 أو 617 ق .م في أورشليم، وكان ينحدر من أسرة مالكة وشب أثناء الإصلاحات التشريعية والعمرانية لهذا الملك.

غير أن دانيال وثلاثة من أبناء العائلات الشريفة هم حننيا وميشائيل وعزريا أخذوا مباشرة للعمل في قصر نبوخذ نصر، وقبل أن تسند إليهم أي مهمة وجهوا لتعلم اللغة الكلدانية، بالإضافة إلى العلوم المقررة في ذلك الزمان، مثل الرياضيات والفلك والسحر والتاريخ وغيرها، وأظهروا خلال التعليم ليس فقط قدرة فائقة في الفهم والاستيعاب، بل أيضاً أدباً جماً وسلوكاً رفيعاً يدل على نبالة أصلهم وكريم محتدمهم.

وبعد اكتمال تأهيلهم علمياً وأدبياً وعملياً، رشحوا للعمل في القصر الملكي، واستتبع ذلك بالضرورة تغيير أسماءهم بأسماء كلدانية ليبدو في نظر الناس وهم في قمة الهرم السياسي للدولة بابليين ولتساعدهم، هذه الأسماء للاندماج في المجتمع الجديد، ولا يعني ذلك تغييراً لولائهم الديني.

فاختير لدانيال (قضاء الله) اسم بالطشاصر ومعناه أحفظ حياتها أيها البعل.

وأختير كندنيا (الرب يظهر النعمة) اسم شدرخ ومعناه تحت تصرف الو (آله القمر).

واختير لميشائيل (من مثل الله)، اسم عبد نغو ومعناه خادم نبو (آله التعليم والكتابة).

وأستأثر نبوخذ نصر بدانيال لنفسه، فعينه مستشاراً خاصاً له، وظل من بعده في خدمة الحكومات البابلية المتعاقبة، عمل خلالها مع بلشاصر بكل إخلاص وتفان، وهي الخصال التي جعلت الفرس عند دخولهم للبلاد لا يترددون في الاستعانة به كمستشار يتمتع بخبرات لا يستغنى عنها، فخدم مع دارايوس وقورش، ولما أصدر الأخير قراره المتعلق بعودة المسببين إلى ديارهم، أثر هو البقاء لكبر سنه، إلى أن توفاه الله عن عمر يزيد عن الثمانين عاماً.

وخلال هذه الفترة من عمره تنبأ دانيال بأحداث ووقائع على امتداد زماني طويل، يبدأ من التاريخ المعاصر له، وحتى بداية القرن التاسع عشر الميلادي، وجاءت الأيام لتثبت صحتها ودقتها وعلى نحو يثير الدهشة ويدعو للإعجاب.
وتتناول الصفحات التالية من هذا الكتاب تلك النبؤات بالعرض والشرح والتحليل.

النبوءة الأولى
الإسلام:الدولة الدائمة

رأى نبوخذ نصر بعد تتويجه ملكاً على الإمبراطورية البابلية بسنتين(عام 503 أو 602 ق.م) رؤيا منامية أثارت حيرته وتعجبه ، وأغضت مضجعه بمناظرها الغريبة ومشاهدها الباعثة على القلق والخوف ، فأمر باستدعاء السحرة والكهنة والعرافين والمنجمين، فلما مثلوا بين يديه ، دار بينه وبينهم حوار قصير، رواه سفر دانيال على النحو التالي:

"قال لهم الملك:

إني حلمت حلماً انزعجت له نفسي، ولن تطمئن حتى تعرف الحلم ومعناه.

فأجابوا بالآرامية:

لتعش إلى الأبد أيها الملك، أسرد على عبيدك الحلم فنفسره لك.

فقال لهم لملك:

قد صدر عني الأمر: إن لم تسردوا عليّ الحلم وتفسروه تمزقوا أرباً أرباً، وتصبح بيوتكم أنقاضاً، وأن أنبأتموني بالحلم وتفسيره أغدق عليكم هدايا وجوائز، وأسبغ عليكم الإكرام، والآن أسردوا عليّ الحلم.

فأجابوه ثانية

- لينبئ الملك عبيده بالحلم فنكشف عن معناه

فرد الملك:

أني أعلم يقيناً أنكم تسعون لاكتساب الوقت، إذ أدركتم إني أصدرت أمراً مبرماً بمعاقبتكم إن لم تنبؤني بالحلم، لأنكم اتفقتم على اختلاق الكذب والضلال لتنطقوا بهما أمامي إلى أن يتحقق معنى الحلم، لذلك انبؤني أولاً بما حلمت فأعلم أنتذ انكم قادرون على تفسيره.

فأجابوا:

ليس على الأرض إنسان في وسعه تلبية أمر الملك، ولم يحدث قط أن ملكاً عظيماً طلب مثل هذا الأمر من مجوسي(كاهن) أو ساحر أو منجم، ومطلب الملك متعذر لا يمكن لأحد أن ينبئ به الملك سوى الآلهة الذين لا يسكنون مع البشر. (1)

أستند نبوخذ نصر في إصراره وثباته على موقفه بأن يعلموه أولاً حقيقة حلمه وكما رآه فعلاً في منامه ثم يشرحوه له من بعد ذلك على اعتقاد شائع بين البابليين مفاده أن الأحلام هي رسائل من الآلهة وعلى درجة كبيرة من الأهمية بحيث لا يقدر على تفسيرها إلا الحكماء، وكان هؤلاء يأولونها بناء على معرفتهم المسبقة لمضمون الحلم ومحتواه المعرفي.

ولكن الملك البابلي فجأهم هذه المرة بأن يقصوا عليه أولاً رؤياه، وكما رآها بالفعل، في إشارة صريحة منه بأن الآلهة قد خصته برسالة بالغة الخطورة وعالية في منزلتها، ولا يقدر على تأويلها فضلاً عن روايتها، كما حدثت له بالفعل:إلا من كان على

علاقة مباشرة بهم أي لا يقدر على معرفة الرؤيا ولا تفسيرها إلا نبي حامل للوحي الإلهي ومخبر عنه.

وبطبيعة الحال لم يتمكن الكهنة السحرة والمنجمون من إقناع الملك، ولا حمله على العدول عن موقفه وإصراره غير المعهود، مستنفدين معه كل حجة وبرهان، فالملك يطلب شيئاً مستحيلا، ولم يكن يقبل بأي حال من الأحوال أي يغير رأيه، عندئذ وكما يروي دانيال.

"واستشاط الملك غضباً وحنقاً وأمر بإبادة كل حكماء بابل وهكذا صدر الأمر بقتل كل الحكماء.(2)

وتلقى المدعو اريوخ رئيس شرطة الملك الأمر الضريح بقتل وإهلاك الحكماء والعلماء الذين وقفوا عاجزين إزاء إطلاع نبوخذ نصر وإعلامه بحقيقة حلمه، ومن جملة أولئك الذين شملهم الأمر دانيال، ولما ذهبت الشرطة بقيادة رئيسهم للقبض عليه في محل إقامته داخل القصر الملكي، جرى بينهما حوار رواه سفر دانيال بقوله:

"فخاطب دانيال بحكمة وتبصر أريوخ قائد حرس الملك الذي خرج ليقتل حكماء بابل، وقال له:

- لماذا أصدر هذا الأمر العنيف؟
- فأخبر اريوخ دانيال بما حدث (3)"

ثم روى السفر بعد ذلك ما فعله دانيال قائلاً:

" فمثل دانيال أمام الملك وطلب منه أن يمنحه وقتاً فيطلعه على تفسير الحلم. "(4)

فوافق العاهل البابلي على طلبه " فمضى دانيال إلى بيته وأبلغ رفقاءه حننيا ومبشائيل وعزريا بالأمر، ليطلبوا من آله السموات الرحمة بشأن هذا اللغز لكي لا يهلك دانيال ورفقاءه مع سائر حكماء بابل."(5)

وأستجاب الله تعالى لدعاء دانيال ورفقاءه، ففي تلك الليلة رأى دانيال رؤيا منامية كشف له عن مضمون حلم الملك وحقيقته وفي صبيحة اليوم التالي أقبل دانيال على أريوخ وقال له في نبرة ناهية وآمرة في الوقت نفسه.

" لاتقتل حكماء بابل، أدخلني للمثول أمام الملك، فأكشف له عن تفسيره".(6)

ونزل أريوخ عند رغبة دانيال " فأسرع بإحضار دانيال إلى الملك، وقال:

- قد عثرت على رجل من سبى يهوذا، وهو ينبئ الملك بتفسير الحلم.
- فسأل الملك دانيال المدعو بلطشاصر:
- هل تستطيع أنت أن تطلعني على الحلم الذي رأيت وعلى تفسيره.

فأجاب دانيال:

لا يستطيع ساحراً أو حكيم أو مجوسي (كاهن) أو منجم ان يطلع الملك على السر الذي طلبه، ولكن هناك آله في السماء يعلن الخفايا، وقد عرَّف الملك نبوخذ نصر مما يحدث في آخر الأيام. " (7)

إن إجابة دانيال الأخيرة دالة ليس فقط على صدق حدس العاهل البابلي، بل ايضاً على قوة بصيرته، فقد أعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله قد ألهمه برؤيا كشف له فيها عما

يحدث في مستقبل الزمان، أما الرؤيا نفسها وكما شهدها نيوخذ نصر فقد رواها دانيال له بقوله:

" أيها الملك:فيما أنت مستلق على مضجعك انتابتك الأفكار مما يحدث في الأيام المقبلة، والذي يكشف الخفايا عرّفك بما سيكون، وقد أعلن لي هذا السر، لا لحكمة فيّ أكثر من سائر الأحياء، إنما لكي يطلع الملك على تفسيره وتدرك افكار قلبك".(8)

يعني أن الملك تعود في الليالي التي يختلي فيها بنفسه وحيداً أن يقف مفكراً ومتأملاً فيما يحدث للناس في مستقبل الزمان، ما تنتهي إليه الممالك والمجتمعات السياسية، وما يحل بالتمدن البشري، والله تعالى المطلع على الغيب كشف وبتركيز شديد حجب ذلك الزمان البعيد، وأعلمه مصائر الأمم والحضارات، ولكن في صورة رمزية غاية في الغموض والإبهام، ودانيال هو وحده الملهم القادر على أخبار الملك بها، والمستعد لتفسيرها تفسيراً يطمئن إليه قلبه، وتسعد به نفسه، ويهدأ باله.

ثم شرع دانيال في رواية الحلم قائلا:

" رأيت أيها الملك، وإذا بتمثال ضخم كثير البهاء واقفاً أمامك، وكان منظره هائلاً، وكان رأس التمثال من ذهب نقي وصدره وذراعاه من فضة، وبطنه وفخذاه من نحاس، وساقاه من حديد، وقدماه خليط من حديد ومن خزف.

وبينما أنت في الرؤيا، أنقض حجر لم يقطع بيد إنسان وضرب التمثال على قدميه المصنوعتين من خليط الحديد والخزف فسحقهما، فتحطم الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً، وانسحقت وصارت كعصافة البيدر في الصيف، فحملتها الرياح، حتى لم يبق لها أثر، أما الحجر الذي ضرب التمثال فتحول إلى جبل كبير و ملأ الأرض كلها. "(9)

فالملك إذن شاهد في حلمه من هو في صورة الإنسان وهيئته المألوفة، ولكنه إنسان في منتهى الكبر والضخامة والطول، يملأ العين حسناً وجمالاً وبهاء، فيأنس به الرائي ولا يستوحشه، ومظهره العام باعث على المهابة والخوف، ودافع للرهبة والحذر، أما أعضاء ذلك الإنسان وأجزاءه، فعلى النحو التالي:

كان الجزء الأعلى من جسمه، أي الرأس الذي يضم الجمجمة والوجه ومراكز الإحساس، من الذهب الخالص، ولونه أصفر لماع.

وما دون العنق إلى البطن أي الصدر، وايضاً من طرف المرفق إلى طرف الإصبع الوسطى وهو الذراع، فمن الفضة البيضاء براقة اللون.

أما القسم الأمامي الأسفل من جسمه، وفيه الأمعاء، أي البطن والجوف، وايضاً ما بين الركبة والورك، أي الفخذ، فمن نحاس أحمر يميل لونه إلى السمرة.

وما بين القدم والركبة من الرجل، فمن حديد رمادي يميل لونه إلى الزرقة، أما ما يقف ويمشي عليه، أي القدم فهو مزيج غريب يجمع بين الحديد والفخار معاً.

وفيما العاهل البابلي مشدوهاً بصورة الإنسان الماثلة أمامه ومتحير من مكوناته المتنافرة، إذا به يرى حجراً صلباً لم يعرف له قاطع، ولا من أين أتى أنتزع، وقد أقبل من بعيد مندفعاً بسرعة شديدة تجاه قدمي التمثال المكونتين من الحديد والفخار،

فضربهما ضربة بلغت من العنف والقسوة درجة تكسرتا معاً إلى قطع صغيرة الحجم ومتفرقة في كل ناحية.

وأدى تكسر القدمين تلقائياً إلى انهيار الجسم كله وسقوطه أرضاً لتتناثر مكوناته مجتمعة من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخزف إلى قطع متناهية في صغرها، حتى شبهت له في الحلم بذرات القش الصغيرة المتبقية بعد فصل الحبوب عن قشورها، فسرعان ما تاتي الرياح وتفرقها شذراً مذراً، ومن ثم أصبح ذلك الإنسان وكأنه لم يكن من قبل.

أما الحجر الذي حطم التمثال وأسقطه من عليائه وأحاله إلى كومة كبيرة من الذارت الحجرية تذروها الرياح، فرآه يرتفع أمامه ويتمدد وينبسط رويداً رويداً إلى أن غطى الأرض كلها.

ختم دانيال قصته قائلاً:

"هذا هو الحلم، أما تفسيره فهذا ما نخبر به الملك".[10]

وبعد ذلك مباشرة ودون انقطاع في السرد فسر له دانيال الرؤيا بقوله:

" أنت أيها الملك هو ملك الملوك الآن إله السموات أنعم عليك بمملكة وقدرة وسلطان ومجد، وولاك وسلطك على كل ما يسكنه أبناء البشر ووحوش البر وطيور السماء، فأنت الرأس الذي من ذهب.

ثم لا تلبث أن تقدم من بعدك مملكة أخرى أقل شأناً منك، وتليها مملكة ثالثة أخرى ممتلئة بالنحاس، فتسود كل الأرض، ثم تعقبها مملكة رابعة صلبة كالحديد فتحطم وتسحق كل تلك الممالك، كالحديد الذي يدق ويسحق كل شئ.

وكما رأيت القدمين والأصابع هي خليط من خزف وحديد، فإن المملكة تكون منقسمة، فيكون فيها من قوة الحديد بمقدار ما شاهدت فيها من الحديد مختلطاً بالخزف. وكما أن أصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف، فإن بعض المملكة يكون صلباً والبعض الآخر هشاً.

وكما رأيت الحديد مختلطاً بخزف الطين، فإن هذه المملكة تعقد صلات زواج مع ممالك الناس الأخرى، إنما لا يلتحمون معاً، كما أن الحديد لا يختلط بالخزف.

وفي عهد هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لا تنقرض إلى الأبد، ولا يترك ملكها لشعب آخر، وتسحق وتبيد جميع هذه الممالك، أما هي فتخلد إلى الأبد، لأنك رأيت أن الحجر المنقض الذي لم يقطع من الجبل بيدين قد سحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب." [11]

وإستناداً على ذلك التفسير فالتمثال في مجموعه يمثل ممالك وإمبراطوريات سوف تسوء وتتعاقب كقوى عمالية، فارضة هيمنها وسطوتها على الشعوب واحدة إثر الأخرى. وذلك بعد نيوخذ نصر فترة من الزمان، ويقف هو على رأسها : أو كالمقدم عليها في الودود والزمان.

وكونه رمز إليه بالذهب، فلأنه يشبه الذهب في نقاءه وخلوص عنصره ونفاسته. كما يشبه الذهب في طبعه الذي لا يتأثر بالنار فلا يحترق ولا يصدأ ولا يبلى، وهو أيضاً

لطيف كالذهب في اشتداد اختلاط عناصره التي جعلته سهلاً ليناً ولامعاً، ولأجل ذلك علت منزلته وسمت على سائر الأمم والشعوب.

فهو نبوخذ نصر(يعني نبو حامي الحدود) ابن نبولاسر مؤسس الأسرة الحادية عشر المعروفة بالأسرة البابلية الجديدة، ولم يكن سلطانه يمتد في أول الأمر إلا على بابل وما حولها، فتحالف مع كياكسريس(12) ملك الماديين لحصار نينوي ، وبعد مقاومة استغرقت ثلاث سنوات أُخذت المدينة عنوة (612ق.م) وبسقوطها اختفت الإمبراطورية الآشورية عن الوجود، وباختفائها أصبحت بابل القوة العالمية الجديدة.

في تلك الفترة هاجم الفرعون نخاو(13) فلسطين ليحمي مصالح بلاده في سوريا الجنوبية، ومن أجل ذلك حارب ملك يهوذا في مجدو عام 608 ق.م ، وقتله في المعركة. ثم عاد إلى مصر وأعد جيشاً جديداً ليغزو به الفرات ويقطع الطريق على البابليين ويستولى على تركة الآشوريين، وعندئذ أرسل نيولاسر أبنه نبوخذ نصر ليقف في وجه نخاو.

ولمع اسم نبوخذ حينما دشن خبرته العسكرية بهزيمة جيش نخاو ومن معه من السوريين هزيمة أوشك أن يبيدهم فيها عن أخرهم، وذلك في معركة قرقميش الواقعة على نهر الفرات الأعلى، وبتلك الهزيمة المرة والقاسية، استولى على نا خلفه نخاو وراءه من ممتلكات في سوريا وفلسطين.

أتجه نبو خذ نصر بعد ذلك لغزو يهوذا (14)، فخضع ملكها يسوياقيم بلا قتال ، فأبقاه عليها كما كان مكتفياً بسبي سكان أورشليم العاصمة ، وكان من بينهم دانيال ورفقاءه، ولكن ما أن بلغه عام 605 ق.م نعي أبيه حتى أسرع بالعودة إلى بابل ليعلن من نفسه خليفة لوالده، وحاكماً على الإمبراطورية البابلية.

ظل بهوياقيم مقيماً على ولاءه لنبوخذ نصر فترة ثلاثة سنوات أغتنم في نهايتها فرصة حروبه في مناطق أخرى من إمبراطوريته وانشغاله عن فلسطين لبعدها عن بابل، فرفع راية العصيان والتمرد، ولكن العاهل البابلي تغلب بسرعة على أعداءه، فزحف بجيش جرار وأحتل اورشليم، وقضى على التمرد، واعتقل الملك المتمرد ،ثم أطلق سراحه فيما بعد ، وعين مكانه أبنه يهوياكين.

وبعد اعتلاء يهوياقيم العرش بأسابيع أعلن هو الآخر الثورة على الحكم البابلي. مما أضطر نبوخذ نصر بقيادة جيشه للزحف مرة ثالثة على يهوذا وحاصروا أورشليم، ثم جاء نبوخذ نصر بنفسه أثناء الحصار وتسلم زمام القيادة، ولم يقو يهوياكين للوقوف بمفرده في مواجهة اعتي جيش في العالم، فأستسلم هو وقادته.

ودخل العاهل البابلي أورشليم (15) ليستولى على جميع مافي خزائن الهيكل وخزائن القصر ، وكل أواني الذهب التي صنعها سليمان عليه السلام للهيكل، كما سبى كل الرؤساء ، وجميع رجال الحرب والخصيات والصناع والحدادين، ولم يترك سوى فقراء الناس، ونصب متنيا عم يهوياكين خلفاً له. ثم غيّر اسمه إلى صدقيا.

حافظ صدقيا على ولاءه لبابل لفترة قدرت بثمانية أعوام، وفي السنة التاسعة طمع في الاستقلال بالحكم والسلطان مستفيداً من اقتراب الجيش الفرعوني من مملكته

لمساعدته ضد البابليين، إلا أن نبوخذ نصر لم يمهله طويلاً، فعاد معتزماً هذه المرة على القضاء المبرم على مملكة يهوذا.

وهو ما حدث بالفعل، فيعد حصار طويل للمدينة تفاقمت فيه المجاعة على الأهالي، دخل نبوخذ نصر أورشليم وأحرقها عن أخرها، وهدم جميع أسوراها، كما هدم هيكل سليمان، وحطم أعمدة النحاس، واستولى على القدور والكؤوس والصحون وجميع آنية النحاس التي كانت تستخدم في الهيكل، وكذلك المجامر والمناضج ، وكل ما كان مصنوعاً من الذهب والفضة.

أما صدقيا فقبض عليه وأقتيد إلى ملك بابل المقيم في ربلة فقتل أبناءه على مرأى منه، ثم سمل عينيه، وقيده بسلسلتين من نحاس، وحملوه معهم إلى بابل، هو وجميع سكان المدينة تقريباً، وترك فقراء الأرض ليزرعوها.

ثم بعد ذلك حاصر نبوخذ نصر صور وباقي مدن الساحل الفينيقي وأحتلها وعامل سكانها بقسوة زائدة عن الحد، وفي سنة582 ق.م حمل من جديد على أواسط سوريا وبلاد العمونيين والموابيين ،وأخيراً غزا مصر عام 567 ق.م.(16)

كما قام نبوخذ نصر في باقي سنين حياته بفتوحات أخرى يجهل التاريخ والمؤرخون تفاصيلها، وكان من عادته أن ينقل سكان إمبراطوريته من مكان إلى آخر ليضمن ولاءهم له، ويستعمل طاقاتهم وخبراتهم في مشاريعه العمرانية، مما مكنه من بناء قصور وأسوار وقلاع وهياكل كثيرة لا تزال آثارها شاهدة على حضارة بابل، وإليه تنسب حدائق بابل المعلقة التي تعد أحدى عجائب الدنيا السبع.

وصدف ما تنبأ به دانيال فإن الله تعالى وهب لنبوخذ نصر من الملك والسلطان والاقتدار ما لم يوهب لغيره من الملوك، حيث امتدت دولته من الفرات إلى النيل، ودانت له بالطاعة والخضوع شعوب وأمم المنطقة على امتدادها، فهو بحق ملك الملوك الذي علت قامته وتطاولت همته على الملوك جميعهم، فشبه بالذهب الذي لا يماثله في قيمته وأهميته معدن من معادن الأرض.

ليس هذا فحسب، بل أن عظمة الإمبراطورية البابلية وهيبتها بين الأمم هي من صنع نبوخذ نصر وحده، وكانت فترة حكمه التي امتدت لفترة من الزمان قدرت ب 45 عاماً هي بالفعل أبهي أيام بابل، وكل الأوصاف التي أطلقت على بابل مثل مجد وفخر وبهاء الكلدانيين ، وسيدة الممالك، إنما كانت توصف بها الدولة في زمانه، وكانت الرأس الذهبي في التمثال يرمز بها إلى مملكة بابل وإلى نبوخذ نصر بالتبادل أحياناً ، وبالتطابق والتوافق في معظم الأحيان.

ويمثل الصدر والذراعان من الفضة الخالصة إمبراطورية مادي وفارس، فمادي ظهرت إلى الوجود كقوة سياسية لها وزنها وثقلها الدولي في المنطقة، حين تمكن أحد ملوكها وهو فاراوتيس(17) من توحيد القبائل الآرية، ثم نجح في إخضاع القبائل الفارسية حوالي عام 670 ق.م، واختار اكتبانا كعاصمة للدولة المتحدة الجديدة، وفيما بعد تحالف أبنه كيكساريس مع نبوبلاسر ملك بابل كما عرفنا. فازلا الدولة الآشورية من الوجود.

ومن ثم صارت مملكة مادي تشتمل على فارس وتوابعها وآشور وغيرها، وامتدت من نهر هاليس إلى بحر قزوين، ومن هناك إلى خليج فارس، وكان طولها من الشمال إلى الجنوب 600 ميل، وعرضها من الشرق إلى الغرب نحو 250 ميلاً، ومساحتها حوالي 150,000 ميل ، وتقسم من الناحية الإدارية إلى ست مقاطعات.

وبحلول عام 550 ق.م كان يعتلي العرش المادي ملك طاغية اسمه استباجس، بينما كان يحكم مقاطعة انشان الفارسية حاكم عادل وطموح هو قورش (18) ، فأعلن الثورة على هذا الملك الظالم، وأيده الماديين في حربه عليه، وبايعوه ملكاً عليهم ، وماهي إلا معركة واحدة حتى استولى الفرس على عاصمة الماديين وسط ابتهاج سكانها، وكان سقوطها إيذاناً بظهور الدولة الفارسية وازدياد قوتها ونفوذها ، وأخذوا يعدون العدة ليكونوا سادة العالم بأجمعه.

وبعد استيلاء قورش على ليديا أحكم سيطرته على آسيا الغربية كلها عام 545 ق. م ثم أتجه إلى الممالك الواقعة شرق مادي وفارس ، واستمر في عملياته الحربية وفتوحاته شمال فارس وشرقها ، طوال ثمان سنوات ، وتقدم من الناحية الشمالية حتى وصل حدود نهر سيمون ، ثم تقدم بعد ذلك في الناحية الشرقية حتى وصل نهر السند.

وبعد أن ثبت دعائم ملكه في الشرق والغرب، توجه إلى بابل عام 539 ق.م وبسقوط بابل العاصمة دانت له كل البلاد الخاضعة لها في الشام وفلسطين ولبنان وبوفاة قورش عام 529 ق.م(19) خلفه في الحكم أبنه قمبيس الذي فتح مصر عام 525 ق.م وأدمجها في إمبراطورية والده الكبرى ، وتوفي قمبيس بعد حكم دام ثلاث سنوات ليخلفه في الحكم دارا.

وفي عهد دارا (20) بلغت الدولة الفارسية أقصى اتساعها، فكانت تضم إلى ملكها ونفوذها، ترافيا وارمينيا وبلاد ما بين النهرين وفريجية وليديا وابونيا، ومنطقة شمال غرب شبه القارة الهندية وأفغانستان وتركستان بلوخستان، والشرق الأوسط كله، وشمال شبه الجزيرة العربية، ومصر وقبرص وبعض جزر إيجة، كما ضمت أيضاً بكتريا وبلخ وأقاليم المسجيتة وغيرها من قبائل آسيا الوسطي.

ولم يعرف التاريخ إمبراطورية بمثل هذا الأتساع والشمول، وحكمت لربعين مليوناً من البشر لفترة من الزمان امتدت لمائتي سنة، ومن أجناس مختلفة ومتنوعة، صحيح أن هذه الشعوب مختلفة في العنصر واللغة والدين، ولكنها قد رضيت كلها بقبول النظام الفارسي، والتزمت في ولاءها الشخصي لملك الملوك الفارسي.

ورمز في حلم نبوخذ نصر إلى هذه الإمبراطورية الواسعة بالفضة، لأنها أقل منزلة من الإمبراطورية البابلية، أو على أقل تقدير هي دونها في العلو والرفعة، وذلك لكونها نتاج اتحاد قوتين أو مملكتين اندمجتا معاً في مملكة واحدة، وليست كالمملكة البابلية التي ظهرت للوجود بقوتها الذاتية المجردة، وهي بذلك الاتحاد تشبه الفضة التي تصدا وتحترق وتبلى بالتراب، وإذا إصابتها رائحة الرصاص والزئبق انكسرت، أو رائحة الكبريت اسودت، ولا تشتد وتقوى إلا إذا خلطت بالنحاس.

أما البطن والفخذين من النحاس فيرمز بهم للملكة المقدونية التي أنشأها ولأول مرة في التاريخ الملك المقدوني فيليب، ثم عمل بعد ذلك على توحيد المدن الإغريقية المتنافرة وإخضاعها لحكمه، وبحلول عام 335 ق.م كان ابنه وخليفته الاسكندر قد فرض سيطرته على منطقة شاسعة تمتد من البيلوبونيسوس جنوباً إلى مدن الدانوب شمالاً، ومن جزيرة كوليرا غرباً إلى البسفور والدردنيل شرقاً.(21)

وفي ربيع عام 334 ق.م (22) عبر الاسكندر مضيق الدردنيل بعتاد خفيف وثقيل ، فوجد الجيش الفارسي على الضفة الجنوبية من نهر جرانيفوس وما ان اتخذ التشكيل الحربي موقعه حتى دمر القوات الفارسية بسرعة ، وذلك لعجزها تماماً عن الصمود أمام الهجمات المستميتة من قبل سلاح الفرسان اليوناني ، وتلاشت أمام الاندفاع المرعب للكتائب المتراصة والمحاطة بسياج منتصب من الرماح الهائلة المتلاصقة.

وفي شتاء عام 332 ق.م (23) كلف قائده بارمينيون بقيادة الفرسان على أن يلتقى به في فريجيا بينما قاد هو باقي القوات بنفسه إلى ليكيا وبامفيليا وبسيديا لمهاجمة القبائل المعتصمة بسفوح التلال ، وبعد تأمين ليكيا وبامفيليا ، وبعد الاستيلاء على فريجيا تقدم صوب انورا(انقرة) ومنها جنوباً إلى كابادوكيا، ثم استولى بعد ذلك على ميناء طرطوس.

ومن طرطوس سار الاسكندر جنوباً في اتجاه سهل سوس(24) الضيق المؤدي إلى سوريا، ولما سمع بوجود دارا في مدينة سوفي أتجه إليه، وفي شهر أكتوبر من عام 333 ق.م التحم الجيشان في سوس قرب خليج اسكندرونة، وعلى الرغم من حجم الجيش الفارسي الهائل ، إلا انه اندحر تماماً ومني بالدمار والقتل، وبالتالي سقطت سوريا كلها في يد الاسكندر.

كان لانتصار الاسكندر في معركة سوس دوي هائل وصدى واسع في المنطقة، فأعلنت كل من ببلوس (جبل لبنان) وصيدا وجزيرة ردرس الخضوع للفاتح المقدوني، أما صور فظلت تقاوم بشراسة لمدة سبعة أشهر إلى سقطت أخيراً، وفي خريف 332 ق.م سقطت غزة بعد مقاومة عنيفة، وفي حوالي منتصف شهر نوفمبر من العام نفسه دخل الاسكندر مصر، حيث لم يجد اي مقاومة، لأن الوالي الفارسي أثر الاستسلام، فسقطت البلاد كلها في قبضته.

وخرج الاسكندر من مصر قاصداً الفرات،(25) وعبره ليدخل ما بين النهرين، ثم عبر دجلة وتابع سيره حتى اصطدم بالجيش الفارسي في كوكامل القريبة من نينوي ، حيث جرت معركة كان الجيش الفارسي فيها على درجة عالية من التدريب والكفاءة ، فتمكنوا من التضييق على الاسكندر ، إلا ان قيادة دارا كانت سبباً في هزيمة الجيش، لأن القائد المقدوني حين لمس بنفسه شدة بأس الفرس ، شدد حملته على الموقع الذي أتخذه دارا لنفسه، وحين رأى دارا أن الحرب تدور حوله أثر الفرار ، ففر قسم من الجيش معه، وسرت العدوى في باقي وحدات الجيش ، لتنتهي الحرب بهزيمتهم.

وبعد ان اراح الاسكندر جيوشه تقدم نحو بابل التي ما أن اقترب منها حتى وجد بواباتها مفتوحة على مصراعيها، وخرج الوالي الفارسي بنفسه يستقبل الفاتح العظيم، ثم تساقطت المدن الفارسية بعد ذلك مدينة وراء مدينة، وإقليم وراء إقليم، وهكذا زالت الإمبراطورية المادية الفارسية عن الوجود عام 331 ق.م.

وحين تمت استعدادات الاسكندر لغزو الهند،(26) توجه إليها عابراً طريق هندوكش ، فعبر ممر خيبر والجسر الذي أقاموه على نهر السند حتى دخل مدينة تاكسات في البنجاب، فاستقبله ملكها وأهلها بترحاب كبير ، وتقدم منها إلى ناحية نهر هيداسيس حيث تصدى له ملك تلك المملكة بجيش يضم عدد كبير من الفيلة التي أحدثت خسائر مروعة بالجيش المقدوني، ولكت انتهت الحرب أخيراً بانتصار الاسكندر عام 326 ق.م.

كانت تلك الحرب من أصعب الحروب واشدها على الاسكندر وجنوده، وبعدها هاجم ما قابله من المناطق حتى وصل نهر هيفار، وهناك أدرك الجنود أنهم إذا توغلوا ابعد من ذلك فأنهم سوف يواجهون ما لا قبل لهم به، وان ما تم من فتوحات كاف ولكل شئ حد، ولكل إنسان طاقته، فأمر قادته بوقف الحملة، والعودة بجنوده إلى ايران عبر سيستان ، وتوجه هو نفسه سالكاً طريق بلوجستان وذلك عام 325 ق.م.

وشبهت إمبراطورية الاسكندر المقدوني بالنحاس لسببين:

أولهما: أن النحاس كان يشكل معدناً اساسياً في أسلحة الجنود المقدونيين واليونايين، الذين هم عماد الجيش، وقوته الضاربة، وهم الذين اعتمد عليهم الاسكندر في معظم انتصاراته.

وثانيهما: ان الإمبراطورية رغم اتساعها الجغرافي الكبير، لم تخرج عن كونها وريثة لأمم وشعوب بلغت شأناً عظيماً في الحضارة والمدنية، فحلت بين المملك التي سبقتها في الرفعة والعظمة والسؤدد محل النحاس بين سائر معادن الأرض، اي هي تشبه النحاس في تدني قيمته المادية وسقوطه والازدراء به، فضلاً عن ان طبيعته يابسة وغليظة.

ويشير بالساقين الحديديتين وبالقدمين الخليط من الحديد والخزف إلى الإمبراطورية الرومانية رابع القوى العالمية التي ظهرت بعد مملكة الاسكندر، فقد تأسست روما عام 357 ق.م(27) وكانت في أول أمرها دولة صغيرة ، ثم أخذت تزداد مساحتها ويتسع نفوذها ، باستيلائها على ما جاورها من المدن والأقاليم ، ومن خلال محاربة القبائل الإيطالية ، وضم مناطقها إلى روما مع منحهم الجنسية الرومانية.

غير أن التاريخ الحقيقي لروما كدولة ذات سيادة ومستقلة سياسياً وإدرايأً بدأ عام 509 ق.م، (28) حيث أقام الرومان ولأول مرة في تاريخهم نظاماً جمهورياً أرستقراطيا ، ولم يجئ عام 272 ق.م حتى كانت شبه الجزيرة الإيطالية من نهر الرويكون شمالاً إلى أقصى الجنوب الإيطالي قد وقعت في حوزة الجمهورية الرومانية، ثم دعمت روابطها التشريعية والسياسية بإقامة اتحاد صلب ومتشابك وبدرجات متفاوتة من الحقوق والجنسية، ظل قائماً حتى نشوب الحرب الأهلية الكبيرة في مطلع القرن الأول قبل الميلاد والتي انتهت بمنح جميع سكان ايطاليا حقوقاً واحدة و متساوية .

وبعد الانتصار الحاسم على قرطاجة احكمت روما سيطرتها على الجانب الغربي من حوض البحر المتوسط، ثم اكتملت سيطرتا على الجانب الشرقي منه، وذلك حين هزم الجيش الروماني الممالك التي قامت على أشلاء إمبراطورية الاسكندر في كل من آسيا الصغرى ومقدونية وسوريا فلسطين ومصر.

ولما تولى الإمبراطور اوكتا فيوس(27 ق.م – 14م)(29) إدارة الدولة ، بدأت تتخذ بالفعل معالم الإمبراطورية الرومانية العالمية ، وذلك لأنه إبان حكمه امتدت حدود الدولة حتى بلغت نهر الفرات شرقاً ، والمحيط الأطلنطي غرباً، والصحراء الأفريقية جنوباً ، وبحر الشمال ونهري الراين والدانوب شمالاً ، وفي أيام تلاوديوس(41 – 54م)(30) تم غزو جزء من بريطانيا ، وفي أيام تراجانوس (98 – 1179)(31) اتسعت الإمبراطورية إلى ما بعد نهر الفرات وهكذا اتسعت الإمبراطورية الرومانية حتى شملت معظم العالم المسكون آنذاك.

وعلى هذا فأن المقصود بالساقيين الجديدين هو روما في أوج قوتها العسكرية، وذروة تألقها السياسي، وشدة بأسها في الحروب، أما القدمين المختلطتين من الحديد أقوى المعادن، والخزف أضعف العناصر وأسهلها كسراً فيرمز بهما وبشكل عام إلى حال الإمبراطورية ككل، فهي من جهة قوية كالحديد يصعب هزيمتها، وقادرة على كسر الأعداء والمعارضين لسيادتها، وهي من جهة ثانية ضعيفة كالخزف يسهل كسرها وهزيمتها.

ومرد ذلك كله إلى أمرين:

أولهما: انحصرت علاقة الرومان بغيرهم من شعوب العالم في أضيق الحدود، فكل ما كان يهمهم هو الخضوع السياسي والهيمنة الاقتصادية، وبالتالي لم يتدخلوا في شئون الشعوب الثقافية والدينية، ونتيجة طبيعية لشعورهم بتفوقهم العرفي والعسكري، ظلوا وطوال فترة سيادتهم منعزلين وبعيدين عنهم، في شتى مجالات الحياة، حتى شبهوا في عزلتهم تلك بالحديد الذي يستحيل اختلاطه بالخزف.

وثانيهما: أن الإمبراطورية كانت تعتمد وبشكل مباشر على العنصر الروماني وعلى العسكرية الرومانية في أحكام سيطرتها على مساحات شاسعة من الأراضي، وهذه القوة مهما كانت تملك من التأثير وشدة البطش فتقف في أحيان كثيرة عاجزة عن بسط نفوذها وأحكام قبضتها على الشعوب المنعزلة بعيداً عنها، فسرعان ما يظهر ضعفها كالخزف تماماً عند أقل تمرد أو خروج عن سلطتها ـ وكانت حالات التمرد كثيرة، وظلت روما في حالة حرب دائمة لاسترداد هيبتها وعظمتها.

ثم رأى نبوخذ نصر حجراً أنقطع من غير قاطع، فهوى على قدمي التمثال اللتين هما خليط من حديد وخزف، وكانت الضربة من القوة والعنف بحيث انهار على أثرها التمثال كله بذهبه وفضته ونحاسه وحديده وخزفه، وتفتت إلى قطع صغيرة متناهية في صغرها عصفت بها الرياح، فلم يرد له أثر، أما الحجر الذي هشم التمثال فظل يكبر في الحجم رويداً رويداً حتى غدا جبلاً عالياً على أقطار الأرض كلها.

ويرمز بالحجر هنا إلى دولة الإسلام التي اصطدمت في بداية تمددها السياسي بالدولة الرومانية التي بسطت سلطاتها على المملكة المقدونية.وبالدولة الفارسية التي بسطت سلطانها على مملكة بابل، وبلغت الضربة حداً من القوة والشدة أدت وبسرعة إلى انهيار الدولتين معاً وما آل إليهما من ممالك، تماماً مثلما انهار التمثال في لمح البصر، وأصبحتا وكأن لم يكن لهما وجود.

وتوسعت الدولة الإسلامية على حساب هاتين المملكتين حتى عمت الأرض المعمورة وفي فترة قصيرة لا تتعدى الثلاثين عاماً بعد وفاة الرسول ﷺ، وعلى امتداد مساحة من الأرض تقع ما بين الهند في أقصى الشرق والمحيط الأطلسي في أقصى الغرب، وهي مساحة بلغت من السعة درجة فاق بكثير ما انتهت إليه تلك الممالك مجتمعة.

وهو الذي عناه دانيال بقوله أنه في أيام ملون الغرس والروم يقيم الله تعالى دولة ملكها دائم ابدي لا يتغير ولا يزول، ولا يدع لغيره من الأمم ملكاً ولا سلطانا بل يدق ويبيد الممالك كلها.

وتأويل دانيال صريح بأن الدولة الإسلامية التي يقيمها الله تعالى محل تلك الممالك: هي دولة باقية ودائمة إلى يوم القيامة. ولا تدع لغيرها سلطاناً على الناس في الأرض، ولأجل ذلك ختمت الرسالات برسالة الإسلام تنبيهاً على قفل باب النبوة، وآيذاناً بأنه لا حكم الإ لشريعة الإسلام، ولا ملك ولا سيادة إلا لدولته.

ثم ختم دانيال تفسيره للعاهل البابلي:" إن الله العظيم فد أطلع الملك عما سيحدث في الأيام الآتية، فالحلم حقيقة وتفسيره صدق." (32)

وبالفعل وكما تبين لنا فقد صحت وقائع التاريخ في تعاقب تلك الممالك واحدة أثر أخرى ، وتطابق حلم نبوخذ نصر مع الواقع المتحقق منه علمياً ، وكشفت في الوقت نفسه عن صحة تأويل دانيال لها، ومطابقة تفسيره مع الحقيقة بلا تكلف.

النبؤة الثانية

جنون نبوخذ نصر

تبوأ نبوخذ نصر وبحلول عام 554 أو 553 ق.م عرش إمبراطورية مترامية الأطراف ، ضمت بالإضافة إلى بابل التقليدية ما بين النهرين ، كل من سوريا وفلسطين ومساحة واسعة غرب نهر الأردن ، وعدد كبير من مدن الساحل الفنيقي ، ودانت له بالطاعة والخضوع شعوباً وأمماً مختلفة الأعراق والديانات.

وكان فوق ذلك كله أعظم ملوك الأرض قاطبة، وغازي من أشهر وأكبر غزاة التاريخ، وأعظم المحاربين والبنائيين والحكام السياسيين من ملوك بابل كلهم، لا يستثنى

منهم إلا حمورابي وحده، مما دفع بالمحيطين به إلى إقناعه بضرورة إقامة تمثال له من ذهب خالص، غير تلك التماثيل المعروفة لتسجد له كل الشعوب، وتتعبده جميع الأمم، فيروي عنه سفر دانيال قائلاً:

" تم صنع نبوخذ نصر تمثالاً من ذهب، ارتفاعه ستون ذراعاً وعرضه ستة أذرع، ونصبه في سهل دورا في ولاية بابل واستدعي نبوخذ نصر الملك جميع اقطاب الدولة وولاتها وحكامها وقضائها وأمناء خزائنها ومستشاريها وسائر كبار موظفي الأقاليم ، ليأتوا للاشتراك في تدشين التمثال الذي نصبه ، فاجتمع الأقطاب والحكام والقضاة وأمناء المخازن والمستشارون وسائر عظماء الأقاليم لتدشين التمثال الذي نصبه نبوخذ نصر ومثلوا أمامه ، وصاح مناد بصوت عالي:

- أيها الشعوب والأمم، من كل لغة ولسان، قد صدر لكم أمر أنكم تسمعون أصوات بوق القرن والناي والعود والرباب والغيثارة المثلثة والمزمار وكل أنواع الموسيقى، تخنون وتسجدون لتمثال الذهب الذي نصبه نبوخذ نصر الملك، وكل من لا ينحني ويسجد يلقى فوراً في وسط اتون نار منقد.[33]

ان هذا التمثال الذي صنعه العاهل البابلي لنفسه يعد بالقياس إلى غيره هائل الحجم يبلغ أرتفاعه 90 قدماً (330 مترا) وبعرض 9 أقدام (3 أمتار) وأقيم في السهل الواسع باقليم بابل المعروف باسم دورا (يعني حائط أو دائرة). (34)

ثم امر نبوخذ نصر كبار المسئوليين والإداريين ورؤساء المدن وكل من يشغل منصباً رفيعاً في أقسام الإمبراطورية المترامية الأطراف بالحضور والمشاركة في حفل الافتتاح الرسمي للعبادة، وهدد كل من لا يأتمر بأمره ويتخلف عن الحضور ولا يستجيب للأصوات الموسيقية المصاحبة له بالسجود للتمثال، بأقصى واشد أنواع العقوبات، وهي طرحه ورميه داخل فرن تضطرم فيه النيران وتتأجج .

إن ذلك الفرن ليس فرناً عادياً، بل واحد من الأفران العملاقة والمستخدمة في صهر المعادن كالحديد والنحاس، وفي صناعة الطوب الحراري، حيث تبلغ حرارته درجة يستحيل بقاء أي فرد فيه حياً ولو لثوان معدودة، فكان من الطبيعي الا يتخلف أحد ممن وجهت إليهم الدعوة عن الحضور فيقول السفر في خاتمة روايته لذلك الحدث الكبير:

" ولهذا حالما سمعت الشعوب الحاضرة أصوات تلك الآلات الموسيقية المختلفة، انحنت وسجدت لتمثال الذهب المنصوب.(35)

كان الهدف الظاهر لنبوخذ نصر من إقامة التمثال بحجمه الكبير وتكلفته العالية، هو توحيد شعوب الإمبراطورية قاطبة حول قبلة واحدة.

أما هدفه غير المرئي أو السياسي فهو تثبيت دعائم سلطته وسيادته، وذلك عن طريق مركزية العبادة، لأن الأمم عندما يتوحد سلطانها الروحي تنجذب تلقائياً نحو صاحب السلطان الدنيوي، فتنقاد إليه بيسر وسهولة وتسلم زمام أمورها، فلا ينازعه عليها أحد.

وأياً ما كان الأمر فقد اغتر العاهل البابلي بالأهداف التي أقيم التمثال من اجلها للأعتقاد بأنه اكبر وأعظم من كونه بشراً فانياً، أو على الأقل شبه إله، وبينما هو في

ذروة مجده وتألقه، وفي غمرة أفراحه بذاته التي لا نظير لها، رأى ذات ليلة رؤيا قص وقائعها على مسامع دانيال قائلاً:

" يا بلطاشر رئيس المجوس(الكهنة)، إني أعلم أن فيك روح الآلهة القدوسين، ولا يتعذر عليك سر، فأخبرني رؤى حلمي الذي شهدته وتفسيره، وهذه هي الرؤيا التي شهدتها في منامي.

رأيت وإذا بشجرة منتصبة في وسط الأرض ذات ارتفاع عظيم، وقد نمت الشجرة وقويت حتى بلغ ارتفاعها السماء، وبدت للعيان حتى إلى أطراف الأرض، وكانت أوراقها جميلة، وأثمارها كثيرة، توافر فيها غذاء للجميع، وتحتها تستظل وحوش الصحراء، وتأوى غلى اغضانها طيور السماء، ومنها يقتات كل ذي جسد.

ثم شاهدت في الرؤيا وأنا في منامي، وإذا برقيب قدوس قد نزل من السماء، وهتف بصوت مدو ، وقال:

أقطعوا الشجرة وأقضبوا أغصانها، وبعثروا أوراقها وانثروا ثمارها، لتشرد الوحوش من تحتها، وتهجر الطيور أغصانها ولكن أتركوا ساق أصلها في الأرض، وأوثقوه بقيد من حديد ونحاس في وسط عشب الحقل، ليبتل بندى السماء، وليكن طعامه من عشب الحقل مع البهائم وليتحول عقله من عقل إنسان إلى عقل حيوان.

إلى أن تنقضي عليه سبعة أزمنة.

وقد صدر هذا القضاء عن أمر الرقباء الساهرين وقرار لحكم بكلمة القدوسين، لكي يدرك الأحياء أن العلى متسلط في مملكة النحاس يهبها لمن يشاء ويولي عليها أحقرهم".(36)

اشتملت رؤيا العاهل البابلي على مشهدين أو منظرين متشابهين:

رأى الأولى في منها صورة شجرة أو نبتة ذات ساق صلبة مشدودة إلى الأرض بجذور ضاربة في العمق الترابي، وتتفرع من أعلاها أغصان وأوراق، ولكنها تختلف عن سائر ما وقعت عليه عيناه من أشجار ونباتات الأرض.

فساقها يقف باعتدال واستقامة، وفي موضع من الأرض هو لغيره ما لمركز للدائرة، وكلسان الميزان للعمود، وما فتئت الشجرة تزيد وتكبر طولاً وعرضاً، حتى بلغت عنان السماء، وتراءى نظرها وظهر في أقصى وابعد أجزاء الأرض وأقسامها.

اما أوراقها فقد حملت أنواعا وأعدادا لا تحصي ولا تعد مما يؤكل ويطعم من تفاح وثمرات الأشجار، حيث تحولت إلى مأوى وملاذ ليس فقط للحيوانات البرية غير المستأنسة نبل للطيور بمختلف أنواعها، يعني أنها عدت مصدراً لأرزاق مخلوقات السماء والأرض.

وتبدى له في المشهد الثاني ملاكاً من السماء، وهو يصيح بصوت مسموع آمراً بتقطيع فروع الشجرة، وفصل ما تشعب عنها من أصول، ثم نتف أوراقها وما نمى عليها وتفريقها شذراً مذراً ،أما أطايب الثمار والمأكولات فيرمى بكل نوع منها على حدة في مكان مختلف عن الآخر ، وذلك حتى تنفر من تحتها الحيوانات البرية ، وتبتعد عنها

خوفاً وفزعاً ، وتغادر الطيور فروعها وأغصانها ، وتفارقها مفارقة أشبه بالقطيعة التي لا لقاء ولا تلاقي بعدها.
ثم استدرك الملاك مستثنياً جذع الشجرة من القطع والاجتثاث ، فأمر بالإبقاء عليه كما هو متجذراً في الأرض ، على ان يربطوه بقيود من حديد ونحاس ، رباطاً فيه شدة وأحكام ، وذلك لتحقيق ثلاثة أغراض:
1- أن يتساقط عليه بخار الماء المتكاثف في الليل.
2- أن يأكل ويقتات مما تأكله وتقتات به كل ذات أربع قوائم وكل ما لا عقل له ولا تمييز، أي الكلأ الرطب.
3- أن يتبدل عقله من عقل إنسان إلى عقل حيوان، ويظل على هذه الحالة من الانقلاب مدة تقدر من الزمان بسبع سنوات.
وعقب الملاك على كلامه أو أوامره، بأن ما مضى ذكره من مشاهد وأحداث هو حكم الله وقضاءه المفصل بتمامه، وذلك حتى يعلم كل مخلوق علماً يقينياً بأن الله تعالى هو وحده الذي يهب الملك ويعطي السلطان لمن يشاء، حتى ولو كان من أصاغر القوم وأذلهم ، ويحرمه ممن يشاء حتى ولو كان من اشرف القوم وأعزهم.

واخيراً ختم نبوخذ نصر رؤياه لدانيال قائلاً:
" هذا هو الحلم الذي رأيته انا نبوخذ نصر الملك، وعليك أنت يابلطاشر ان تفسره، لأن حكماء مملكتي قد عجزوا عن إطلاعي على تفسيره، أما أنت فتستطيع، ذلك لأن فيك روح الآلهة القدوسين".(37)
أما ما جرى لدانيال بمجرد استيعابه للرؤيا، وفهمه الدقيق لما تعنيه، فيرويه كاتب السفر في قوله:
" حينئذ انتابت الحيرة دانيال المدعو بلطاشر طوال ساعة، وروعته أفكاره.(38)
و مقصوده أن دانيال ظل وطوال ساعة كاملة من الزمان متردداً لا يعرف كيف يخبر الملك بمآله ومنتهى أمره، ومتوجساً من الخواطر المتدفقة على قلبه، ولا تحمل خيراً للملك، ولما شعر الأخير بضيقه وصعوبة موقفه، وعدم اهتداءه إلى الوسيلة تخرجه من مأزقه وحيرته، طمأنه قائلاً:
" لا يفزعك الحلم ولا تفسيره" (39)
وهو يريد بذلك ان يجعله في حل من مسئولية تفسيره للرؤيا، وفي الوقت نفسه الا يخاف أو ينزعج من مناظره ومشاهده المثيرة للجزع والباعثة على الرهبة، فرد عليه دانيال قائلاً:
" ليرتد الحلم على مبغضيك وتفسيره على أعاديك" (40)
فكان دانيال بمقولته تلك يتمنى من كل قلبه أن يكر الحلم راجعاً إلى أكثر الناس كراهية ومقتاً وخصومة له، وينطبق عليهم تفسيره، لا عليه هو، عندئذ فسر له الرؤيا قائلاً:

" الشجرة التي شاهدتها والتي نمت واشتدت وبلغ ارتفاعها السماء، فبدت للعيان حتى أطراف الأرض، وكانت أوراقها جميلة وأثمارها كثيرة، توافر فيها غذاء للجميع، وتحتها تستظل وحوش الصحراء، وتأوي على أغصانها طيور السماء، هي أنت أيها الملك الذي نموت وقويت شوكتك وازدادت عظمتك، حتى بلغت إلى السماء، وسلطانك إلى أطراف الأرض.

أما ما شاهدته من ان رقيباً قدوساً قد نزل من السماء، وقال: أقطعوا الشجرة وأفنوها، ولكن اتركوا ساق أصلها في الأرض، وأوقفوه بقيد من حديد ونحاس في وسط عشب الحقل ليبتل بندى السماء، وليكن طعامه من عشب الحقل مع البهائم، فهذا هو تفسيره، وها هو قضاء العلي الذي يحل بسيدي الملك:

سيطردونك من بين الناس، فتأوى مع حيوان الصحراء، يطعمونك العشب كالثيران، وتبتل بندى السماء على ان تنقضي عليك سبعة أزمنة حتى تعلم أن العلي متسلط في مملكة الناس يهبها لمن يشاء.

أما الأمر الصادر بالمحافظة على ساق الشجرة فمعناه ان مملكتك تبقى لك، حتى تدرك أن السيادة هي للسماء.(41)

فالشجرة إذن هي مجاز غير حقيقي للملك نبوخذ نصر الذي بسط سيطرته على مساحات واسعة من الأرض، ودانت له بالطاعة والخضوع أمماً وشعوباً كثيرة، فطبقت شهرته الآفاق ، وكان بحق سيد الأمم ، لا يضارعه أحد في قوة البأس ولا ذيوع الصيت ، ونعم تحت ظل حكمه الجميع بالأمن ورغد العيش وبهجة الحياة وسرورها وأفراحها.

أما أوامر الملك فهي قضاء الله وحكمه فيه جراء أغتراره بذاته وتكبره على الناس، وقسوته وعدم شفقته بهم، حتى توهم أنه ملك ألهي ، يفعل ما يشاء ، فهو عما قليل سوف يفقد عقله ويصبح كالحيوان يأكل ويشرب كما تأكل البهائم وتشرب، ولا شئ يقيه أو يستره من ظواهر الطبيعة ، ولفترة محدودة من الزمان ، وذلك علماً لا يخالطه شك بأن حكم البشر والتسلط عليهم وسياستهم هي بيد الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده.

وأما الأمر الأخير والخاص بالإبقاء على جزع الشجرة قائماً في الأرض، فتفسيره أن أمور الدولة وشئونها ستظل على ماهي عليه بلا تغيير، وسوف تبرم شئون الحكم وتنفذ كما لو كان موجوداً بنفسه، ومالك لقواه العقلية، وذلك كي يزداد علماً بأن التحكم في رقاب البشر هو لله تعالى وحده.

وناشد دانيال في نهاية تفسيره للرؤيا الملك البابلي بالاستقامة والصلاح، والكف عن الظلم، أي نصحه بالتوبة والإنابة قائلاً:

"لذلك أيها الملك، تقبل مشورتي، وتخل عن خطاياك بالبر، وآثامك بممارسة الرحمة مع البائسين عسى أن يطول فلاحك." (42)

وكشفت الأحداث التالية للحلم وتفسيره عن عدم استجابة الملك لمناشدة دانيال، وإعراضه باستهتار بالغ عن نصحه وتحذيره، إذ لم يكن هناك أي موضع في قلب الملك الجبار المغرور المتكبر وعديم الرحمة، فروى عنه السفر قائلاً:

" وقد أصاب نبوخذ نصر كل ما أنبأ به دانيال:

فبعد انقضاء أثنى عشر شهراً على هذا الحلم، وفيما كان نبوخذ نصر يتمشى على سطح قصر بابل الملكي قال:

- أليست هذه هي بابل التي بنيتها بقوة اقتداري لتكون عاصمة للمملكة، ولجلال مجدي؟

وفيما كان كانت كلماته بعد تردد على شفتيه، تجاوب صوت من السماء قائلاً:

" يا نبوخذ نصر الملك، لك يقولون الآن قد زال عنك الملك، ثم يطردونك من بين الناس، فتأوى مع حيوان الصحراء، ويطعمونك العشب كالثيران، إلى ان تنقضي عليك سبعة أزمنة ، حتى تعلم ان العلي متسلط في مملكة الناس يهبها لمن يشاء. (43)

وبعد سماع الملك لتلك العبارات، تحقق الحلم وصح التفسير، فيروي السفر قائلاً:

" في تلك الساعة تم حكم القضاء على نبوخذ نصر، فطرد من بين الناس، وأكل العشب كالثيران، وابتل جسمه بندى السماء، حتى استرخى شعره مثل النسور، وطالت أظافره مثل براثن الطيور. (44)

وتدل العبارات السابقة على أن الملك البابلي أصيب باضطراب عقلي شديد الوطأة، وأشبه في مظاهره العامة بالذهان العضوي الذي ينشأ عادة عن أسباب نفسية لا عضوية، فتصدعت شخصيته وانفرط عقدها، وتعطلت وظائفها من إدراك وإرادة وحكم، وتشتت تفكيره وفقد القدرة على التعبير والاتصال بالآخرين.

كما حدث في الوقت نفسه تدهور عام في مظهره، فاتسخت ملابسه، وتغير شعر رأسه وتلبد، وطالت أظافر يديه ورجليه، وبدت تصدر عنه بعض التصرفات الطفولية، كالتبول اللاإرادي والصراخ، ثم انتهى به الحال إلى أو التخيل أنه ثور محاط بظروف غير طبيعية ولا واقعية، فخرج على وجهه يرعى في الحقول ويأكل مما تأكل الحيوانات البرية.

وعادة ما يوصف هذا النوع من المرض بأنه جنون مطبق، أي ممتد، فتتعاقب الأزمنة على صاحبه وتطول وهو على حالته تلك من فساد العقل، وتعطل في وظائف الأنا، وعجز تام عن التفكير السليم، أو التواصل مع الآخرين، وتغير كبير في مظهره وشكله العام، بحيث استوعب جنونه الوقت كله.

ولما رجع إليه عقله، وتكامل وعيه بذاته وبالآخرين، اقر واعترف بخطأه وقساوته وظلمه، فيروى عن نفسه قائلاً:

" وفي ختام السبعة أزمنة أنا نبوخذ نصر، التفت نحو السماء، فرجع إليّ عقلي، وباركت العلي، وسبحت وحمدت الحي الأبدي ذا السلطان السرمدي، والذي ملكه على مدى الأجيال، وعرفت أن كل أهل الأرض لا يحسبون شيئاً، وانه يفعل ما يشاء، في جند السماء وسكان الأرض، وليس من يكف يده، أو يقول له:ماذا تفعل ؟

في ذلك الحين تاب إليّ عقلي، وعاد ليّ جلال مملكتي ومجدي وبهائي، وطلبني مشيري ونبلاء دولتي، وثبتت عليّ عرش مملكتي، وازدادت عظمتي جداً، فالآن أنا نبوخذ نصر اسبح وامجد واحمد ملك السماء الذي جميع أعماله حق، وطرقه عادلة، وقادر على إذلال كل من يسلك بالكبرياء. (45)

تمثل الفترة التي قضاه نبوخذ نصر مسلوب العقل والإرادة فترة كاملة من الزمان، وتامة في الحساب، وذلك وفقاً للاعتقاد البابلي(46) الذي يرى في العدد سبعة تعبيراً عن أعظم قوة، وعن كمال العدد، ولغتهم نفسها تطلق لفظة واحدة على العدد سبعة وعلى كلمة كل المستغرقة لجميع أجزاء الشئ، مما ينبئ أن عقوبة الملك بنهاية تلك السنوات قد بلغت كمالها وتمامها، فعوفي من مرضه، واستعاد وعيه، واسترد شخصيته الغائبة، ليعتقد عن قناعة ويقين بقدرة الله تعالى ومشيئته النافذة.

وتترتب على ذلك عودته إلى سابق عهده كملك يتمتع بما تتمتع به الملوك من قدرة واقتدار وعظمة وجلال، بل هو الآن أفضل مما كان عليه، لأنه الآن يعبد الله ويشكره على ما أسدى إليه من نعم، ويؤمن بمشيئته وقدرته على الحط من شأن كل متكبر ومتجبر من عباده.

غير ان نبوخذ نصر لم يستمر طويلاً على عرش الإمبراطورية البابلية، فمات بعد مرضه ذلك بفترة قصيرة، بعد أن حكم العالم ثلاث وأربعين عاماً، وكانت وفاته عام 562 ق.م.

النبؤة الثالثة
تحريف المسيحية

خلف آبل مردوخ والده نبوخذ نصر في الحكم (562 – 560 ق.م) ،ثم تلاه صهره نريجلاصر ، لفترة أمتدت لاربع سنوات ليعقبه مردوخ لباشي لفترة قصيرة لم تتجاوز الشهرين ، وقعت بعدها الأمبراطورية البابلية في قبضة نيونيدوس(556 – 539 ق.م).

وشارك بلطاشر والده نبونيدرس اعتباراً من عام 553 ق.م ، فكان الأب هو الحاكم الأول والابن الحاكم الثاني، ومرجع ذلك إلى كثرة انشغال والده بأعمال تتطلب وجوده خارج العاصمة ، وإلى كونه قد ترك الإقامة في بابل وبنى قصوراً في تيها، شمال الصحراء العربية تشبه قصور بابل.

ولأجل هذا عهد إلى ابنه وشريكه في الملك اعتباراً من عام 533 ق.م بإدارة شئون البلاد دون الرجوع إليه، وحمل ابنه تبعاً لذلك لقب ملك بابل، وظل محتفظاً بسلطات الرجل الأول في الدولة لحين سقوط العاصمة واستيلاء الفرس عليها.

وعندما تبوأ بيلطاشر سدة الحكم روى سفر دانيال قائلاً:

"في السنة الأولى لحكم بيلطاشر ملك بابل رأى دانيال حلماً ورؤى، مرت برأسه وهو مضطجع في فراشه، فدون الحلم وحدّث بخلاصة الرؤيا." [47]

يعني أنه في عام 533 ق.م وهي السنة الأولى لملك بيلطاشر الفعلي، رأى دانيال، وكان حينئذ في أواخر الستينات من عمره رؤيا منامية، وما أن أشرقت عليه شمس اليوم التالي حتى أسرع إلى كتابة وتوثيق وقائعها، جاء فيها:

شاهدت في رؤياي ليلاً، وإذا باربع رياح السماء قد هجمت على البحر، وما لبث أن صعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة يختلف بعضها عن بعض.

فكان الأول كالأسد، بجناحين كجناحي النسر، وبقيت أنظر إليه حتى أقتلع جناحاه وانتصب على الأرض واقفاً على رجلين كإنسان، وأعطى عقل إنسان.

ورأيت حيواناً آخر شبيهاً بالدب، قائماً على جنب واحد وفي فمه بين أسنانه ثلاثة أضلع، وقيل أنهض وكل لحماً كثيراً.

ثم رأيت بعد هذا حيواناً آخر مثل النمر، له على ظهره أربعة أجنحة كأجنحة الطائر، وكان لهذا الحيوان رؤوس، وفوضت إليه سلطات وشهدت بعد ذلك في رؤى الليل، وإذا بحيوان رابع هائل وقوي وشديد جداً، ذا أسنان ضخمة من حديد، أفترس وسحق وداس ما تبقى برجليه، وكان يختلف عن سائر الحيوانات التي قبله وله عشرة قرون.

وفيما كنت أتأمل القرون إذا بقرن آخر صغير ينبت بينها، واقتلعت ثلاثة قرون من أمامه، وكان في هذا القرن عيون كعيون إنسان، وفم ينطق بعظائم.

وفيما كنت انظر نصبت عروش واعتلى الأزلي كرسيه، وكانت ثيابه بيضاء كالثلج ، وشعر رأسه كالصوف النقئ ، وعرشه لهيباً متوهجاً ، وعجلاته نار متقدة ، ومن أمامه يتدفق ويجري نهر من نار ، وتخدمه ألوف الملائكة ويمثل في حضرته عشرات الألوف ، فانعقد مجلس القضاء وفتحت الأسفار.

وبقيت أراقب القرن من جراء ما تفوه به من عظائم حتى قتل الحيوان وتلف جسمه وطرح وقوداً للنار، أما سائر الحيوانات فقد جردت من سلطاتها، ولكنها وهبت البقاء على قيد الحياة لزمن ما.

وشاهدت أيضاً في رؤى الليل ، وإذا بمثل ابن الإنسان مقبلاً على سحاب حتى بلغ الأزلي فقربوه ، فانعم عليه بسلطان ومجد وملكوت لتتعبد له كل الشعوب والأمم من كل لسان، وسلطانه سلطان أبدي لا يفنى، وملكه لا ينقرض. (48)

وتفصيل حلم دانيال وشرحه على النحو التالي:

شاهد دانيال وهو واقف على شاطئ بحر فلسطين – البحر المتوسط – الرياح الأربعة الشرقية والغربية والشمالية والجنوبية، وهي تهب عليه بغتة ودون سابق إنذار، ولم يمضي على هبوبها سوى ثوان قليلة حتى اندفعت خارجة من البحر أربعة حيوانات كبيرة الحجم ولكل منها هيئة وشكل غير الذي للآخر:

فالأول يشبه الأسد من فصيلة السباع اللبونة، وعلى ظهره جناحان يشبهان جناحي النسر التي تساعده على الطيران عالياً ولمسافات طيلة، وما لبثت تلك الأجنحة حتى انتزعت من جذورها، ووقف على الشاطئ قائماً بأرجل تشبه من الفخذين إلى القدم تلك التي للإنسان، وبدلاً من العقل المفترض أنه عقل حيوان، منح عقل كالذي لبني آدم.

والحيوان الثاني شبيه بالدب الهائم في المنطقة، ضخم الجثة ولونه رمادي تغشاه صفرة، ورآه دانيال على جانب واحد، أي منتصب القامة على أحدى رجليه، وتوجد في فمه وبين أسنانه عظام صغيرة الحجم، قليلة الانحناء، وسمع من يحثه ويحركه على أكل اكبر كمية من اللحم، ان المادة الرخوة بين الجلد والعظم ، والأ يأكل المادة البيضاء من الشحم والدهن.

وأما الحيوان الثالث فيناظر النمر ويماثله في لونه وشكله وضخامته وطوله، ونبتت على ظهره أربعة رؤوس، ومنح هذا الحيوان ليس فقط القوة والاقتدار، بل ايضاً الحرية المطلقة للتصرف بها كيف يشاء.

وأما الحيوان الرابع فلا تحديد لهويته، ولا نوعه وفصيلته بل هو مجرد وحش، شكله مخيف، ومظهره يثير الفزع والرعب في القلوب، وهو فوق ذلك متمكن وقادر على القيام بالأعمال الشاقة والصعبة، لا يناله في إنجازها تعب ولا نصب.

وأسنانه في فمه كبيرة الحجم وحديدية، لونها رمادي مائل إلى الزرقة، ونتيجة لقوته الجبارة ومقدرته الهائلة على الحركة، فهو يقضي ويهلك بكل يسر وسهولة على من يقف في طريقه، ويتميز عن باقي الحيوانات بأن على رأسه نبتت عشرة قرون، وكونها مرئية أمامه مباشرة فذلك يعني أنها داخلة ضمن دائرة الوحش الكاسر.

وبينما دانيال يمعن النظر مرة بعد أخرى في تلك القرون العشرة، متحرياً عن أمرها، ومتثبتاً عن حقيقتها، إذا به يري قرناً ضئيل الحجم يبرز من بينها، فينتزع ثلاثة قرون ليست من القرون العشرة، الواحد بعد الآخر.

واللافت لنظر دانيال أن لهذا القرن الصغير عيون كعيون البشر، وفم يتكلم بصوت وحروف تؤدي إلى معاني بالغة الشناعة وشديدة القبح.

ثم تغير المنظر فجأة فرأى من اعتقد أنه الحق عز وجل على سرير ملكه وملكوته، ملابسه في بياض لون اللبن والثلج، ويعلو رأسه شعر صوفي خالص في

نظافته، أما سريره وقوائمه فقد أحتدمت فيه النيران وتوقدت، نقية لا دخان فيها، وخالصة من الشوائب.

ورأى على بعد مسافة قصيرة مجرى كالذي يسير عليه النهر ولكنه من نار فتتدفق فيه تدفقاً فيه سرعة وشدة تماثل تلك التي للمياه الجارية في الأنهار ويقف على مقربة منه مئات الألوف من الملائكة، وهم على أهبة الاستعداد لتلبية أوامره، ويشكل هذا المشهد في مجموعة اجتماعاً للحكم أو للفصل في قضايا منصوص على عقوبتها في كتب بين أيديهم.

وغرابة المشهدين الأخيرين هي التي دفعت دانيال إلى تثبيت نظره ملياً على القرن الصغير، مشدوداً إلى ما تلفظ به من أقوال بالغة الشناعة والقبح، وإلى ما نطق به من كلام لا يستصاغ عقلاً، ولا يحتمله سامع، وهو الذي تسبب في موت القرن وهلاكه ، فرمى أو ألقى به في النيران ، كما تسبب أيضاً في موت الوحش.

أما باقي الحيوانات الأخرى فقد سلبت منها قوتها واقتدارها، ولكنها تركت، أو تفضل عليها بالاستمرار في الوجود إلى فترة محددة الزمان.

وفي النهاية تطلع دانيال إلى أعلى فرأى من يشبه في سيماه ابن إنسان محمولاً على السحاب، قادماً باتجاه الحق عز وجل، ولما صار إلى جواره نهض بعض الملائكة، فأدنوه باتجاه الحق عز وجل قدموه إليه.

فأعطاه منهجاً وشريعة – أي الوحي – مصحوبة بالقوة والإقتدار ، والرفعة والعز ، وذلك ليتقيد بها الناس في مختلف الأزمنة ، ومنهجه وشريعته باقيين أبد الدهر ، ودولته هي الأخرى باقية لا انقطاع ولا نهاية لقوتها وسلطانها.

أما تفسير تلك الأحداث وتأويل وقائعها فقد وردت في سياق الرؤيا نفسها، وكأنها جزء لا يتجزأ منها، فيروي دانيال قائلاً:

أما أنا دانيال، فقد ران الحزن على روحي في داخلي وروعتني رؤى رأسي، فاقتربت من أحد الواقفين استفسر منه حقيقة الأمر، فأطلعني على معنى الرؤيا قائلاً:

- هذه الحيوانات الأربعة هي أربعة ملوك يظهرون على الأرض، غير أن قديسي العلي يستولون على المملكة ويمتلكونها إلى أبد الآبدين.

حينئذ أردت أن أطلع على حقيقة الحيوان الرابع الذي كان يختلف عن سائر الحيوانات، إذ كان هائلاً جداً ذا أسنان من حديد ومخالب من نحاس وقد أفترس وسحق و داس ما تبقى برجليه، وعن القرون العشرة النامية في رأسه، وعن القرن الآخر الصغير الذي نبت، فاختلعت أمامه ثلاثة قرون.

وهذا القرن ذو العيون الناطق بالعظائم، ومنظره أشد هولاً من رفاقه، وقد شهدت هذا القرن يحارب القديسين ويغلبهم،إلى أن جاء الأزلي ، وانعقد مجلس القضاء الذي فيه تبرأت ساحة قديسين العلي ، وأزف الوقت الذي فيه أمتلكوا المملكة".[49]

عني أن رغبة دانيال قد أنحصرت فقط في معرفة الحيوان الرابع والمميز عن باقي الحيوانات والمنفرد عنها بصفات وأحوال لا نظير لها عد غيره، وعلى وجه أخص القرون العشرة لا سيما القرن الصغير المتكلم بفظائع ، وذلك لأنه عدو حاقد ، وخصم

عنيد لعباداللهِ وأولياءه (قديسي العلي(وقاهر جبار لإرادتهم ، ولم ينقذهم منه إلا المحكمة الكبرى التي قضت بأمرين .
الأول: الإعلان عن سلامتهم من التهم التي ألصقت بهم ظلماً وتجنياً.
الثاني: بشرت الناس بقرب حلول قيام دولتهم ودوام سلطانهم.
لذلك أجابه قائلاً:
" ان الحيوان الرابع هو رمز للملكة الرابعة على الأرض وهي تختلف عن سائر الممالك لأنها تستولى على الأرض كلها وتخضعها وتسحقها، أما القرون العشرة من هذه المملكة فهي عشرة ملوك يتولونها، ثم يقوم بعدهم ملك آخر يختلف عن الملوك السالفين، ويخضع ثلاث ملوك ويعيّر العلي وينكل بقديسية ويحاول أن يغير الأوقات والقوانين، فيذل القديسين ثلاثة سنوات ونصف السنة.

ولكن ينعقد مجلس القضاء، فيجرد من سلطانه ويدمر ويفنى إلى المنتهى، وتوهب المملكة و السلطان وعظمة الممالك القائمة تحت كل السماء إلى شعب قديسي العلي، فيكون ملكوت العلي ملكوتاً ابدياً ، وتعبده جميع السلاطين ويطيعونه.

إلى هنا ختام الرؤيا، اما أنا دانيال فقد روعتني أفكاري كثيراً وتغيرت هيئتي، ولكني كتمت الأمر في قلبي." [50]

وعلى هذا فإن الحيوانات الأربعة تمثل و ترمز إلى أربع إمبراطوريات كبرى تسود العالم، وتهيمن على مقدرات الخلق، وهي بهذا مطابقة تماماً مع حلم نبوخذ نصر، إلا أن حلم الأخير كشف عن تمددها السياسي وأتساع رقعتها الجغرافية، أما هنا فيكشف عن جوانبها الأخلاقية والسلوكية، أو بمعنى آخر يلقي الضوء على شرورها ومفاسدها ووحشيتها وقسوتها على عباد الله وبطشها بهم، وعل نحو ما تفعله الوحوش الضواري بضحاياها.

فالأسد أشارة إلى الإمبراطورية البابلية[51]المشهورة بنصبها لتماثيل الأسود المجنحة في بابل العاصمة. وكانت تشبه بالفعل الأسد في قوته ونشاطه وجرأته وأخلاقه، وترمز بجناحي النسر إلى فتوحاتها السريعة وانقضاضها المباغت على أعداءها.

ويتطابق الأسد مع رمزيته تلك مع رأس الذهب في النبؤة الأولى، فمثلما أن الذهب رئيس المعادن، فإن الأسد هو ملك الحيوانات، وكذلك الدولة البابلية فهي تأتي وبلا منازع على رأس الممالك والدول التي سادت العالم القديم.

وفوق ذلك فقد عرف البابليون[52] بشدة البأس والإقدام وكان صليل سيوفهم وصيحات فرسانهم تملأ قلوب أعداءهم خوفاً وفزعاً، أما أصوات مركباتهم فكانت كرعد قاصف وقلما حاقت بهم هزيمة، أو اخفقوا في معركة من معاركهم، ولا غزوة من غزواتهم على كثرتها وتعددها.

واشتهر فرسانهم بالبسالة والنجدة، وأمتاز جنودهم بدقة رميهم للسهام وطعنهم بالرماح وضربهم بالسيوف، يندفعون إلى الحرب بكبرياء، وينقضون على عدوهم كالنسر على فريسته، ويتسابقون جميعاً ليعيثوا في الأرض فساداً، أما خيولهم فأسرع من

النمور، وأشد ضراوة من الذئاب، يجمعون أسراهم كالرمل، يهزأون من الملوك، ويسخرون من الحصون التي يستولون عليها، ويجتاحون المدن كالرياح الهوجاء.
أن قوة البابليين كما وصفها هبقوق " هي الهمم". [53]

غير أنها قوة كقوة البشر على رجلين وقدمين، وتتصرف بعقل وروية ودراية وذكاء، فحيثما توجهوا توجه الظفر والغلبة، وحيثما ساروا سار معهم الرعب والفزع الذي يغمر قلوب الناس قبل وصولهم إليهم، وهابتهم بسببه جميع الأمم، الذين كانوا يرون شرب السم أهون عليهم من ملاقاة تلك الجيوش الجرارة، ويعاملون الأسرى والمسبيين بفظاظة وقسوة لم يسبقهم إليها أحد من الناس ولا حتى الآشوريين.

أما الدب فيمثل مملكة مادي وفارس المكونة [54]من جنسين، ويرمز بوقوفه أو قيامه على جنب واحد إلى سيطرة العنصر الفارسي على العنصر المادي، لأن الماديين أنحدروا من جنس عريق في القدم، وكان في بادئ الأمر هم العنصر المهيمن ، ولكن بعد ذلك صارت الهيمنة من نصيب الفرس.

وترمز الأضلع الثلاثة في فم الدب إلى القوى الرئيسية الثلاث التي هزمت وزال سلطانها السياسي من قبل الفرس الماديين، أي ليديا وبابل ومصر[55]، والخطاب المباشر للدب بأكل اللحم الكثيرة فإشارة إلى أن حدود فارس زادات في المساحة والأتساع عن حدود بابل خصاصة في اتجاه الشرق والشمال.

ومع هذا وذاك فإن الإمبراطورية الفارسية هي أقل شراسة وقسوة ووحشية من الإمبراطوريات الأخرى، وذلك لشدة ارتباطهم بالدين الزرادشتي، وقوة تمسكهم به، حتى طغت سمة التدين على حياتهم كلها، وغدا الدين هو المظهر الروحي للأمة بأسرها فتفوقوا على غيرهم بمتانة أخلاقهم وحبهم للخير.

لأجل هذا طغت العوامل الإنسانية على مسلكهم، وفي تعاملهم مع الشعوب المغلوبة والواقعة تحت قبضتهم، فشبهوا بالدب الذي يتقوت عادة على الأعشاب والخضروات والعسل والتوت ، ولا يقبل على اللحوم والدماء ، إلا إذا اضطرته الحاجة إليها، عندئذ يغدو خطره عظيماً ورغبته في الافتراس أشد قسوة وشراسة.

ويرمز بالنمر إلى الإمبراطورية المقدونية تحت قيادة الإسكندر، إذ كانت بالفعل تشبه النمر في خبثه وسرعته الفائقة، وقدرته الكبيرة على التسلق والحركة بخفة ورشاقة، والأجنحة الأربعة تشير إلى سرعة أضافية فوق سرعته المألوفة. حيث تمكن ومن معه في فترة أربع سنوات ما بين عام 334 ق.م وعام 330 ق.م من إحكام سيطرتهم على معظم العالم المنحصر حينذاك، وهي فترة لا مثيل لها في فتوحات ذلك الزمان .

كما أن الأسكند [56]نفسه وهو قائد تلك الفتوحات قد وصل إلى العظمة والسيادة بسرعة لم يسبق إليها، إضافة غلى أن عبقريته في التخطيط وبراعته القتالية قد تجلت في خفة حركته وسرعة انقضاضه، فكان لا يؤخر توقيت المعركة قط، بل يقوم عليها في

حينها، ولأجل ذلك كانت الجيوش الجرارة التي تصدت لمقاومته وكسر حدة اندفاعه تدوب أمامه مثل ذوبان الثلج تحت وهج الشمس الحارة.

وأتصف الإسكندر بصفتين من أبرز صفات النمر وهما الخبث وشراسة الطباع، فهو وعلى الرغم مما عرف به من خلق كريم ونبل،إلا أنه كان عاطفياً شديد الانفعال ، لا يتورع عند اشتداد غضبه من القيام بأعمال ارتجالية راح ضحيتها الألوف من البشر، لا يستثنى منهم لا النساء ولا الأطفال الرضع، هذا غير من أمر ببيعهم في أسواق النخاسة.

أما الرؤوس الأربعة فوق رأس النمر فتشير إلى انقسام المملكة المقدونية عام 301 ق.م ، أي بعد وفاة الاسكندر بأثنين وعشرين عاماً ، بين قواده الكبار.[57]

- فأستولى كاسندرعلى مقدونيا واليونان الواقعة إلى الغرب
- وليسيمانوس على القسم الشمالي للإمبراطورية الذي يتكون من تراكي والجزء الشمالي من آسيا الصغرى.
- واستولى سلوفس على سوريا وبقية أملاك الأسكندر في الشرق.
- وأما بطليموس فأستولى على الأقسام الجنوبية للإمبراطورية التي ضمت مصر وفلسطين وبلاد العرب.

بيد أن دانيال لم يتوقف ليسأل من كان يقف إلى جواره في الحلم ليشرح له بالتفصيل مآل الممالك والإمبراطوريات الثلاثة الأخرى، بل أراد معرفة حقيقة الوحش الرابع ، وذلك لأنه لفت نظره إلى شدة غرابته وشذوذه ومخلفته سائر المخلوقات الأخرى في صفاتها وأحوالها ، فهو أكثر جسامة وأشد قوة وبطشاً ممن سبقه ، وأسنانه من حديد وأظافره من نحاس ، ومولع بسفك الدماء ، وله عشرة قرون في رأسه إلى غير ما سبق تفصيله.

وذلك الوحش بتلك التفاصيل المرعبة، والمثيرة للفزع يشير مباشرة إلى الامبراطوية الرومانية التي كانت بالفعل في تعاملها مع الأغيار مخيفة وفائقة القوة داست وحطمت بوحشية وقسوة كل المجتمعات السياسية القديمة، وكانت مقاومتها أو الوقوف في وجه طموحاتها يعني الموت المحتم.

غير أن قسوة الرومان وجشعهم تمثل في استغلالهم البشع وغير الإنساني لثروات الناس بالنهب تارة وبالضرائب الفادحة تارة أخرى، وبها ازدهرت مدنهم وحواضرهم، وذلك لأنهم كانوا يعتبرون كل البلاد التي آلت إليهم بالفتح ملكاً للدولة الرومانية، يمتلكها أصحابها الحقيقيون على أنها منحة لهم من قبل الدولة، ومن حقهم استردادها متى شاءوا.

يقول شيشرون في وصفه لظلم أبناء جلدته ولشرورهم التي لا مثيل لها في التاريخ.

" إن كل الولايات تندب حظها، وجميع الأحرار يصرخون ويولولون ، وجميع المملك تحتج على قسوتنا وشرهنا، وليس ثمة مكان فيما بين المحيطين مهما كان قاصياً أو خافياً لم يشعر بوطأة ظلمنا".[58]

أما القرون العشرة البارزة في الوحش فأشارة إلى عشرة اضطهادات تعرض لها النصارى على يد عشرة أباطرة من أباطرة الرومان في الفترة ما بين عام 64 وعام 313م.

ويأتي الإمبراطور نيرون(54 – 68م)[59] ، على راس هؤلاء العشرة ، فهو أول من أصدر مرسوماً إمبراطوريا نص فيه على أن اعتناق النصرانية أو الجهر بها يعد خيانة عظمى وجريمة كبيرة يعاقب عليها بالإعدام، ونفذ المرسوم فور صدوره وعلى نطاق واسع في أنحاء الإمبراطورية ، وكانت تلك بداية تعذيب وقتل الرومان للنصارى.

يروي أحد ولاة الرومان في رسالة بعث بها إلى صديق له كيفية تنفيذه للمرسوم قائلاً:

" أن الطريقة التي أتبعتها مع من أنهموا أمامي أنهم مسيحيون هي هذه ، لقد سألتهم هل هم مسيحيون ، فإذا اعترفوا بأنهم كذلك أعدت السؤال عليهم مرة أخرى ، وأنذرتهم في الوقت نفسه بأنهم سيقتلون إذا أصروا على قولهم ، فإذا أصروا أمرت بقتلهم." [60]

وبهذه الطريقة وغيرها راح المئات من النصارى ممن ثبتوا على دينهم ولم يستجيبوا لمحاولة اقناعهم أو نصحهم بتقديم فروض التعظيم للآلهة الرومانية ومن أشهرهم الرسولان بطرس وبولس.

وثاني أباطرة الأضطهاد هو دومينبانوس (18 – 96)[61] الذي استغل أحدى ثورات النصارى فأنزل بهم من العذاب والإذلال في السجون ما فاق التصور، ولأول مرة يستشهد الكثير من أشراف روما تحت وطأة التعذيب. كما ذاق يوحنا الانجيلي الحرق بالزيت الحامي، ونفي إلى جزيرة باتموس ، ونفي أيضاً كثير من النصارى من روما ممن كانت اتهاماتهم لا ترقى لمستوى التعذيب أو القتل ، واشهر من استشهد في تلك الفترة الأب تيماتاوس في آسيا الصغرى.

وفي عهد تراجانوس (98 – 117م)[62] ثالث أباطرة الاضطهاد قتل أسقف أنطاكية في روما سنة 107م ،ولقى أسقف اورشليم القديس سمعان حتفه مصلوباً في السنة نفسها، وأعدم كثيرون في بيثينية ومقدونيا ، وكتب طيباريوس حاكم فلسطين إلى الإمبراطور يقول: إن المسيحيين في انطاكيا أزدحموا مستميتين في سبيل الرب.

ويختلف هارديان(117 – 138م)[63] رابع مضطهدي النصارى عن غيره في أن عقله كان يتسع لقبول الآراء ومختلف الافكار ، فأمر القائمين على تنفيذ المرسوم بتفسير كل شك لمصلحة المسيحيين ، ولا ينتطعون في تعذيبهم.

اما خليفته انطونينوس بيوس(128- 161م)[64]،الخامس في قائمة المضطهدين فكان أكثر منها تمساكاً بدينه ، فقد اباح اضطهادهم أكثر من هارديان ، وحدث في أزمير أن طالب الغوغاء ، فيليب حاكم ولاية آسيا الا يتهاون في تنفيذ المرسوم الإمبراطوري ،فأجابهم إلى ما طلبوه ، وأمر بإعدام أحد عشر من المسيحيين.

كما أخذوا يطالبون بإعدام الأسقف بوليكاريوس أسقف أزمير وهو اب ورع في السادسة والثنانين من العمر، وقد وجد الجنود هذا الشيخ في ضواحي المدينة ،فجأوا به إلى الوالي وهو يشهد الألعاب ، فأمر سيافاً أن يجهز عليه بسيفه ففعل.

وخلف ماركوس اورليوس الورع((161-180م)[65]هوالآخرأنطونيوس ليصدر سادس مرسوم إمبراطوري يأمر فيه بالقبض على زعماء المسيحيين في ليون، حيث مات الأسقف بوتينس وهو شيخ في سن التسعين في السجن من التعذيب، وأرسل الوالي رسوله إلى روما ليسأل الإمبراطور عما يشير به في معاملة سار المسجونين، فأشار ماركوس بإطلاق سراح من ينكر الدين المسيحي وقتل كل من يعتقه كما يقضي بذلك المرسوم.

وفي ليون وبينما كانت تجري الاحتفالات جئ بالمسيحيين المتهمين إلى المدرج ووجهت إليهم الأسئلة، فمن انكروا أخرجوا من المدرج، وأصر سبعة وأربعون على الأستمساك بعقيدتهم، فقتلوا بعد أن ذاقوا ألوان من العذاب ما لا مثيل له.

من ذلك أن الأسقف اتلس أرغم على الجلوس على كرسي من الحديد المحمى الذي شوي جسمه وأزهق روحه، وظلت بلندينا وهي أمة صغيرة السن تعذب يوماً كاملاً، ثم ربطت في زكيبة وألقيت ليفتك بها ثور وحشي ، وتحملت الفتاة عذابها وهي صامتة.

وقتل في روما نفسها سنة 165م القديس برستيونس النابلسي الفيلسوف المعلم واستشهد أيضاً أسقف أثينا، وحكم على الكثيرين بالعمل الشاق في المناجم.

وعلى عهد الإمبراطور سيتيوس سابع المضهدين(193 – 211م)[66] كان التعميد نفسه يعد جريمة تستحق العقاب، وفي عام 203م استشهد كثيرون من المسيحيين في قرطاجة. وذلك بالقاءهم إلى الحيوانات المفترسة في مدرج المدينة الكبير، ومن هؤلاء أم في مقتبل العمر تدعى برينوا ألقيت ومعها أم شابة أخرى إلى أحد الثيران الوحشية، أما في مصر فملأ السجون بالنصارى، ودفع ببعضهم إلى الجلادين في الإسكندرية.

ولعل الأمبراطور ديسيوس (249 – 215)[67] ثامن المضطهدين هو أول من أبتدع سياسة الإبادة الجماعية للنصارى، ففي عام 250م إصدر مرسوماً يطلب من جميع سكان الإمبراطورية أن يتقدموا بالقرابين الوثنية علناً لآلهة الدولة وللإمبراطور ، وجعل الموت عقوبة من يرفض ذلك ،فأرتد عن الدين عدداً من الأغنياء والوجهاء ، واستشهد في سبيله عدد كبير من المؤمنين.

ومن بين هؤلاء اويمانيوس الاهوتي الذي سجن في قيصرية وعذب ومات من جراح في صدره، والكسندروس أسقف اورشليم وبابيلاس أسقف انطاكية ، واعدم كل من اسقف روما وتولوز ، والقى بالمئات في السجون .

وقطعت رؤوس بعضهم، ومات الكثيرون على قوائم الأحراق ، وألقى بعدد قليل منهم إلى الوحوش في حفلات الأعياد.

وسار الامبراطور فاليرويانوس (252 – 268م) تاسع المضطهدين على طريقة ديسيوس ، حيث أصدر مرسوماً بحظر كل الاجتماعات المسيحية، وفرض عليهم تقديم الشعائر الوثنية ، وكان الموت جزاء من يوجد مجتمعاً مع غره سواء في المقابر أو في محلات العبادة.

وعصى البابا سكنس هذا الأمر فإعدم هو وأربعة من شمامسته ،وكذلك قطع رأس كيريانوس أسقف قرطاجة ، وحرق اسقف طراقونة حياً، وداهمت قوات من الجند القديس ترسيبيوس وجماعة من المؤمنين وهم يصلون في سرداب ، فأشعلوا فيهم النار فماتوا خنقاً.

وفي العام الثاني لحكمه إصدر مرسوماً أخراً لمحاكمة الأساقفة والكهنة والشمامسة ، وجعل عقوبة معصيته لكل واحد حسب موقعه الكهنوتي إذا أصر على عقيدته، ولكن اضطهاد فاليريانوس كان محدوداً ، وانتهى بمأساة هزيمته على يد الفرس عام 259م.

ويختلف الأمبراطور دقلويانوس (285 – 305م)[68] آخر أباطرة الاضطهاد في أن أضطهاده للنصارى كان بالغ القسوة وأطوله زماناً (8 سنوات)، وتم بصورة بطيئة وتدريجية، فتقرر في البداية تطهير البلاد والجيش والإدارات الحكومية من النصارى، وإقصاء كل من يرفض تقديم الذبائح الوثنية.

ثم إصدر أربع مراسيم متعاقبة بين عام 303و304، حظر فيها الاجتماعات المسيحية، وهدم الكنائس، وعاد كرة أخرى فأمر بسجن الكهنة وإعدامهم إذا هم أبوا الاشتراك في الذبيحة الوثنية.

أما تعذيب من يرفض الارتداد عن دينه فقد كان مروعاً، إذ يروي ان الناس كانوا يجلدون حتى تنفصل لحومهم عن عظامهم، أو أن لحمهم كان يقشر من عظامهم بالأصداف، وكان الملح أو الخل يصب على جروحهم، ويقطع لحمهم قطعة قطعة ويرمى للحيوانات الواقفة في انتظارها أو يشدون إلى الصلبان فتنهش لحومهم الوحوش الجياع جزءاً جزءاً.

وكانت في بعض الأحيان تدق عصى حادة الأطراف في أصابع الضحايا وتحت أظافرهم. وسملت أعين بعضهم، وعلق بعضهم من يده أو قدمه، وصب الرصاص المصهور في حلوق البعض الآخر، وقطعت رؤوس بعضهم أو صلبوا، او ضربوا بالعصى الغليظة حتى فارقوا الحياة.

وبرز من بين أباطرة الأضطهاد العشرة أو القرون العشرة قرن أو إمبراطور صغير القدر والمنزلة إذا قورن بمن سبقوه، عمل على تحطيم ثلاثة أباطرة على التوالي، وهذا الإمبراطور هو بلا شك قسطنطين الذي كلن يحكم مع ثلاثة أباطرة الإمبراطورية الرومانية، وذلك بموجب قرار دقلديانوس عام 292م[69]،وبموجبه قسمت الدولة بين أربعة حكام لكل واحد منهم جزءاً يحميه ويديره من عاصمة له ، وهؤلاء هم ماكسميانوس ومالسنتيوس وليسنيوس وقسطنطين.

وتفجر الصراع بين الاباطرة الأربعة عقب مؤتمر كارنونتوم [70] والذي عقد خصيصاً لتلافي أنهيار السلطة الرباعية والحفاظ على ما فعله دقلديانوس ، واسفر المؤتمر عن وجهات نظر مختلفة ومتضاربة ، لتفتح الباب على مصراعيه للحرب الأهلية.

فبعد أنتهاء ذلك المؤتمر مباشرة غادر قسطنطين مقره ليقوم بحملة رادعة ضد الفرنجة عام 310م ن فأنتهز ماكسيمبانوس الفرصة وأعلن نفسه إمبراطورا أوحداً في مدينة أرليس ، ولما سمع قسطنطين بما حدث عاد وهو غاضب ، وضرب الحصار حول قواته، وراح يطارده حتى استسلم في مارسيليا ، ولما وجد ماكسميبانوس أن الطريق امامه مسدود شنق نفسه في حجرته ، وبذلك خرج من الصراع واحد من أكبر أقطابه.

أما نهاية ماكسنتيوس[71] فتعود أسبابها ودوافعها إلى مؤامرة حيكت جيداً بينه وبين ماكسيمبانوس ، فرأى قسطنطين أن يكون هو البادئ بالعمل ، فزحف على روما بسرعة مدهشة ونظام عسكري دقيق، والتقى في السابع والعشرين من شهر اكتوبر بقوات ماكسنتيوس عند مكساريرا (الخور الحمراء) ، والتي تبعد تسعة أميال عن روما من جهة الشمال.

وافلح قسطنطين بخططه الفائقة الروعة أن يرغم عدوه على مقاتلته ونهر النيبر وراءه ،وليس من طريق يسلكه إذا تقهقهر إلا أن يعبر جسر ملفيوس القديم القائم على النهر.

ومهما يكن من امر فقد أنتصر قسطنطين في واقعة جسر ملفيوس ، وقتل أو غرق ماكسنتيوس وآلاف من جنوده في نهر النيبر ، ودخل القائد الظافر روما ، وحيته يومئذ المدينة على بكرة أبيها ، وبذلك أصبح سيد الغرب الروماني بلا منازع.

وبهزيمة ماكسمنيوس القاسية أصبح كل من قسطنطين وليسنيوس حكام على الإمبراطورية، الأول في الغرب والثاني في الشرق، وأغلب الظن ان سياسة ليسنيوس العدوانية أزاء النصارى هي التي أغضبت قسطنطين ، فراح يتحين الفرصة للتخلص منه، وجاءته الفرصة عندما هاجمت قبائل القوط منطقتي سيسيا وترافيا عام 323م ، فأضطر إلى المرور عبر الولايات التابعة لغريمه الذي أحتج على هذا التصرف.

وكان قسطنطين ينتظر هذه الحرب فسرعان ما بدأت المناوشات بينهما في صيف عام 324م [72]، وفي صيف العام نفسه التقى الغريمان في حرب انتهت بهزيمة ليسنوس غرب هادريات ونوبوليس ، بعد ذلك عبر البسفور ليقضي على البقية من جيوش عدوه الذي استسلم تماماً ، وكاد ان يقتله لولا تدخل زوجته ، فعفى عنه ، ونفاه إلى سالونيك، ولكن لم تمضي ستة أشهر على ذلك حتى أصدر قراراً بإعدامه بحجة أنه مايزال يتأمر ضده.

وهكذا أصبح قسطنطين الامبراطور الأوحد على كافة ولايات الإمبراطورية، وتوحدت الدولة الرومانية ولأول مرة بعد أربعين عاماً تحت أمرته، وكان شعاره الجديد:حاكم واحد، وعالم واحد وعقيدة واحدة.

وهكذا أنفرد قسطنطين وحده بحكم الامبراطورية بعد إزاحته ثلاثة متنافسين من أمامه واحد تلو الآخر، تماماً مثلما تساقطت القرون الثلاثة أمام القرن الصغير.

أن جميع الأباطرة الذين اضطهدوا النصارى وأذاقوهم ويلات السجون والعذاب، كانوا يمثلون قوى هوجاء بلا عقل ولا تبصر، أما قسطنطين وكما تصفه الرؤيا فكان له فم بشري وعينان ، أي كان يملك العقل والمنطق والقدرة على الكلام والمحاجة والجدال، فبدلاً من أضطهاد النصارى(قديسو العلي) أعترف بالنصرانية كديانة رسمية في الدولة، وترك القسم الغربي للإمبراطورية لغيره ، وجعل من بيزنطة عاصمة ومركزاً لإمبراطورية جديدة.

وأخيرا تظاهر بأعتناق المسيحية وذلك لإدخال التحريف في حقيقة الإيمان، وليلحق بوحدانية الله من التشويه والتقبيح ما لم يسبقه إليه أحد من البشر، ولذا قيل عنه في الحلم أنه متكلم بعظائم. ونسب العار إلى الله وقبّح فعله، وتكلم ضده، أي أنه تفوه ونطق بكلام تفوح منه رائحة الكفر.

وأكبر شاهد على ذلك أن الخلافات المحتدمة بين النصارى حول قضايا العقيدة والعبادة، وكانوا وقتها يشكلون الغالبية العظمى من مواطنيه، هي التي دفعته إلى دعوة كل ممثلي الجماعات الكنسية لمجمع عام يعقد في نبقيه بتركيا عام 325،[73] وذلك لإيجاد حلول لكل قضايا الجماعة ومشكلاتها العالقة، وعلى رأسها الاتفاق على عقيدة واحدة ، بدلاً من افتراقهم إلى جماعتين ، تعتقد الأولى بوحدانية الله تعلى ، في حين تؤمن الثانية بالتثليث وألوهية عيسى عليه السلام.

كان الموحودن يمثلون الأكثرية الساحقة، أو ثلثي المجتمعين ولم يتجاوز عدد الفريق الثاني الثلث، وكان من الطبيعي أن تحل المسألة بأغلبية الآراء ولكن المعتقدين بالتثليث رفضوا حسم الخلاف بالتصويت، فتدخل قسطنطين الذي يريد أن يعم الآن والراحة والانسجام والاتفاق بين رعاياه، موصياً أياهم بالكف عن الاختلاف والشقاق، وان تحل القضية موضع النزاع وفقاً لمبادئ الحق وأسس وقواعد الإنجيل.

غير ان الخلاف بين الفريقين كان حاداً وعنيفاً، حتى أنهم تدرجوا من المنازعة إلى المشاتمة، ومن المجادلة إلى المضاربة، فاقتضت الحاجة إلى تدخل سلطة قوية وجبرية لحسم الخلاف، عندئذ قرر الإمبراطور الانحياز التام للفريق الثاني، اي القائل بالتثليث، واتخاذ أقسى التدابير وأشدها عنفاً، فأخرج من القاعة أكثر من سبعمائة موحد، وبقى عدد يقدر بحوالي 318 كان هو من بينهم، وهم الذين أصدروا في نهاية اجتماعهم قراراً ليس له طبيعة الإعلان، بل طبيعة الدستور الملزم للجميع، وهو الذي عرف فيما بعد بقانون الإيمان الذي لا يزال معمولاً به إلى يومنا هذا، ونصه :

" نؤمن بالله الواحد الأب مالك كل شئ ، وصانع ما يرى وما لا يرى، وبالابن الواحد يسوع المسيح، ابن الله الواحد بكر الخلائق كلها، الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع ، اله حق من أله حق ، من جوهر أبيه الذي بيده اتقنت العوالم ، وخلف كل شئ من أجلنا ومن أجل معشر الناس ، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنسانا ، وحبل به وولد من مريم البتول، وقتل وصلب أيام

بيلاطس ، ودفن وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس على يمين أبيه ، وهو مستعد للمجئ تارة احرى للقضاء بين الأموات والأحياء ، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق الذي يخرج من ابيه ، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا ، وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية ،وبقيام ابداننا وبالحياة الدائمة أبد الآبدين ". [74]

ثم أصدر قسطنطين مرسوماً إمبراطوريا لم يكترث فيه كثيراً لرأي الأغلبية بوضع ذلك القرار حيز التنفيذ السريع، وأعقبه على الفور مراسيم أخرى تقضي باضطهاد وتعذيب كل من أنكر أو رفض الإيمان باتحاد المسيح في الجوهر مع الله، أو عبادته كآله مساو لله تعالى في الألوهية.

ونتيجة لذلك أبعد الآلاف من مناصبهم، وصودرت كتبهم الدينية أو أحرقت علناً، ومنهم من لعن أو نفي أو قتل، ووضعت فرق الجيش الوثنية وعديمة الرحمة في كل ولاية ومدينة تحت إمرة السلطات الكنسية، بحيث أصبح عصر قسطنطين يجسد اعتى نظام حكم إرهابي ، ومحارب عنيد لوحدانية الله وللموحدين على حد سواء.

ودام ذلك الاضطهاد الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً فترة من الزمن قدرها دانيال في حلمه بثلاث سنوات ونصف، أو كما كشفت الأحداث فيما بعد ثلاثة قرون ونصف، أي إلى ظهور الإسلام.

ومن لدن آدم عليه السلام، وحتى إعلان عقيدة التثليث وفرض الوثنية على التوحيد، وتنفيذها بمرسوم إمبراطوري من قسطنطين ، لم يحدث قط أن حصل تحد لوحدانية الله تعالى بصورة رسمية سافرة من قبل أولئك الذين يدعون ويتظاهرون بأنهم عباد الله وأنصاره، ولو صنع الواحد منهم صنماً واتخذه شريكاً لله، لعد هذا مجرد عقيدة ملحدة لا غير، ولكن عندما يرفع عيسى عليه السلام عبدالله ورسوله إلى مرتبة الألوهية ، فليس هناك من وصف له وحكم عليه سوى الكفر.

ولم تقف قرارات مجمع نبقية عند هذا الحد، بل إن مراسيم قسطنطين قد سعت وكما جاء في تفسير الحلم إلى تغيير الأوقات والقوانين، اي السنن الثابتة والأيام المقدسة والأعياد المقررة، فيقول عبد الأحد داؤود في حديثه عن ذلك الانقلاب الهائل في الدين المسيحي.

" إن مرسوم قسطنطين قد حذف وإلغى بصورة مباشرة الوصيتين الأوليتين في شريعة موسى عليه السلام حول وحدانية الله:

- لن يكون لك آله أخر معي

وخالف المعنى المتشدد لصناعة الصور والتماثيل من أجل العبادة، وأن الإعلان على وجود ثلاثة في شخص الله والادعاء،بأن الله مولود من مريم العذراء ، أكبر إهانة لشريعة الله واشد الزندقات كفراً.

إن صناعة التماثيل الذهبية والخشبية أمر مكروه بدرجة قاطعة، ولكن أن تجعل من المخلوق الفاني موضوعاً للعبادة، وأن تعلنه ألهاً، بل وتعبد الخبز والنبيذ في القربان المقدس على أنه (جسد الله ودمه)، أن هذا لكفر بواح.

ما الذي يمكن أن يكون أكثر مدعاة للاشمئزاز من استبدال عيد الفصح اليهودي والتضحية بحمل الرب على خشبة الصليب، وعلى الآف المذابح كل يوم، إن إلغاء السبت كان خرقاً للوصية الرابعة من الوصايا العشر، كما أن إدخال يوم الأحد كان تعسفياً وعدائياً معاً.

إلغاء السبت كان بموجب مرسوم من قسطنطين من أجل اعتماد يوم الأحد، الذي يزعم أن عيسى عليه السلام خرج فيه من القبر، وكان عيسى نفسه يتقيد بدقة بأحكام يوم السبت ووبخ الزعماء اليهود لأنهم اعترضوا على تقديم الصدقات في ذلك اليوم. (75)

ومهما يكن من أمر فقد بلغ تحريف قسطنطين للإيمان المسيحي وتشويه حقيقته درجة من الفظاعة والقبح أن الله تعالى وكما رأى دانيال في منامه نزل بذاته العلية مع الألوف من ملائكته الأطهار ليحاكمه محاكمة أقرب إلى المحاكم الشخصية، وليقضى في الخلاف بين الموحدين والتثليثين قضاء مبرماً لا راد له، ولا مجال للمنازعة أو الجدال حوله، في أشارة رمزية صريحة إلى ما جاء به الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من أحكام قاطعة في العقيدة المجمع عليها في مجمع نبيقة ، والمؤيدة بقرارات ومراسيم الإمبراطور قسطنطين.

قال تعالى(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...).(67)

يعني أن من يعتقد حقيقة ان الله تعالى هو المسيح لا غير، أو أن حقيقة الله متحذة بحقيقة عيسى عليه السلام اتخاذ الاسمين للمسمى الواحد. فهو بلا شك ينزل منزلة الجاحد للخالق والمنكر لوجوده.

وأيضا قوله:

(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ...)(77)

والمقصود أن الحكم نفسه يتطبق على من يعتقد أن الله هو مجموع ثلاثة أشياء، أي هو واحد من تلك الثلاثة التي اسماها النصارى بالاقانيم أو الاصول الثلاثة ، ثم عقب القرآن بعد الحكم بكفر من يعتقد ذلك الاعتقاد القبيح قائلاً:

" وما من أله الا إله واحد".(78)

فعبارة أله واحد مستوعبة وحاصرة وصف الألوهية في واحد على وجه التقييد والإحاطة وبالتالي يبطل التثليث وينتفي تماماً.

وأخيراً خُتمت الرؤيا بحقيقتين:

الأولى: يبعث المصطفى صل الله عليه وسلم الملقب بابن الإنسان، والمقرب من الله تعالى منزلة ومكانة بدين ورسالة وشريعة هادية غلى طريق الحق والخير والسعادة، وفيها الخلاص من جحيم الكفر والجحود والنكران، وقادرة على أقتلاع الوثنيات السائدة بين الأمم الأربعة الكلدانيين والفرس واليونانيين والرومان.

والثانية: إن الموصفين بقديسي العلي هم إتباع محمد ﷺ وعباد الله وأولياءه من المؤمنين الذين يحملون دينه الخاتم وشريعته السمحة للناس أجمعين، وهؤلاء هم الذين يقيمون مملكة الله الدائمة على الأرض والتي هي دين ومجتمع قوي من المؤمنين بآله واحد لا

شريك له، ومسلح بالإيمان والسيف للقتال عن وجودها واستقلالها ضد أولئك الذين لا يؤمنون بوحدانية الله.

النبؤة الرابعة

إبطال العبادة في هيكل سليمان

مهّد دانيال في روايته لحلمه التالي بذكر خلفيته التاريخية والمكانية قائلاً:

" وفي السنة الثانية من مدة حكم بيلطاشر الملك ظهرت لي أنا دانيال رؤيا بعد الرؤيا. يقصد رؤيا الحيوانات الأربعة السالف ذكرها. وكنت أنئذ في شوشان عاصمة ولاية عيلام بجوار نهر أولاي.[79]

والسنة الثانية لحكم بيلشاصر هي عام 551 أو 550 قزم، وكان دانيال قدبلغ وقتها السبعين من عمره، وجرت وقائعها عندما كان مقيماً بصحبة الملك، أو في زيارة خاصة لمدينة شوشان كأحد المسئولين الحكوميين.

وشوشان[80]هي عاصمة ولاية عيلام الواقعة شرقي أرض ما بين النهرين، أما المدينة نفسها فتقع بين نهري الخرقة وأولاي ، وهما فرعا نهر واحد يتشعب على بعد عشرين ميلاً منها، ومن المحتمل أن نهر اولاي هو نفسه نهر الخرقة أو فرع صغير منه ، وبالتالي يصح قول دانيال بأنه كان عند أو بجوار نهر أولاي .

وتعد شوشان أحدى كبرى مدن الإمبراطورية البابلية والعاصمة الشتوية لحكام بابل ، وفيها يقيم الملوك معظم السنة، ولا يفارقونها إلا في الصيف ، وذلك لبرودة جوها وعذوبة مياهها ، وقد نافست بابل في رفعة الثقافة وتطورها ، ويغلب الظن أن معظم الاحتفالات الرسمية والشعبية كانت تقام فيها.

وبعد تلك المقدمة التمهيدية روى دانيال مارآه قائلاً:

" فرفعت عيني وإذا بي أرى كبشاً واقفاً عند النهر، وله قرنان طويلان، إنما احدهما أطول من الآخر، مع أن الأطول نبت بعد الأول، ورأيت الكبش ينطح غرباً وشمالاً وجنوباً، من غير أن يجرؤ أي حيوان على مقاومته، ولم يكن من منقذ منه، ففعل كما يحلو له وعظم شأنه.

وبينما كنت متأملاً، أقبل تيس من الغرب عبر كل الأرض واندفع بكل شدة قوته نحو الكبش ذي القرنين الذي رأيته واقفاً عند النهر.

وما أن وصل إليه حتى هجم عليه وضربه وحطم قرنيه، فعجز الكبش عن صده، وطرحه التيس على الأرض وداسه، ولم يكن للكبش من ينقذه من يده، فعظم شأن التيس، وعندما إنكسر القرن العظيم نبت عوضاً عنه أربعة قرون بارزة نحو جهات الأرض الأربع.

ونما من واحد منها قرن صغير عظم أمره، وأمتد جنوباً وشرقاً ونحو أرض إسرائيل، وبلغ من عظمته أنه تطاول على ملوك الأرض، وقضى على بعضهم وداس عليهم ، وتحدى حتى رئيس الجند (اي الله) ، وتكبر عليه، وألغى المحرقة الدائمة وهدم الهيكل.

وبسبب المعصية سلط على جند القديسين وعلى المحرقة اليومية، وحالفه التوفيق في كل ما صنع ، فطرح الحق على الأرض ، فسمعت قدوساً يتكلم فيرد عليه قدوس آخر:

- كم يطول زمن الرؤيا بشأن المحرقة الدائمة اليومية ومعصية الخراب، وتسليم الهيكل ليكونوا مدوسين.
- فأجابه:
- إلى ألفين وثلاثة مئة يوم ثم يظهر الهيكل". [81]

ويمكن شرح مناظر الرؤيا وصورها على النحو التالي:

بينما كان دانيال نائماً في إحدى قصور مدينة شوشان ، رأى فحلاً من الضأن منتصباً على قدميه بجوار شاطئ نهر اولاي، وبرز فوق رأسه قرنان يمتدان إلى علو ملحوظ ، وواحد من هذين القرنين يتجاوز الآخر في العلو والارتفاع ، مع أن الأطول نما وترعرع بعد الأقل منه طولاً بفترة زمانية مقدرة بالحساب، وكان يقف متحفزاً كما لو كان في انتظار شئ ما.

ثم رأى هذا الكبش يضرب بقرنيه الطويلين في جهات ثلاث هي الغرب والشمال والجنوب، وكانت ضرباته بالغة الشدة والعنف، وعظيمة التأثير بحيث لم يتجاسر أي حيوان على الوقوف أمامه فضلاً عن التصدي له أو مجابهته.

أما من يتصدى له أو يجابهه، فلا يوجد من يخلصه أو يحرره من قبضته الآخذة بالأعناق، ونتيجة طبيعية لتلك القوة الجبارة والاقتدار الواسع، تمكن من إنجاز كل ما طابت له نفسه من أعمال، فبلغ في المجد والرفعة درجة لا يماثله فيها حيوان آخر.

وأثناء تمعن دانيال وتفرسه في الكبش، رأى على البعد ذكر من الماعز آتياً من جهة غروب الشمس، قاطعاً تلك المسافة كلها دون أن تطأ أقدامه الأرض، كناية عن سرعته الفائقة في السير، ووجهته الوحيدة هي الكبش الواقف عند النهر، واهم ما لفت نظر دانيال فيه هو بروز قرن وحيد ثابت بالتحديد بين عينيه.

وما أن بلغ التيس مكان الكبش، وأنتهي إلى حيث يقف، باغته على حين غفلة منه ونطحه بقرنه الوحيد على قرنيه الاثنين وكسرهما إلى قطع صغيرة، وبلغ الكبش حداً من الضعف والخوار كف فيها عن المقاومة وانهارت قواه تماماً، فألقى به التيس أرضا ووطئه بأقدامه.

وبهلاك الكبش ازداد التيس عظمة وكبرياء ومجداً وسمواً ورفعة، حتى خيل أنه وحيد زمانه وفريد عصره، وعند بلوغه تلك الدرجة من الغلو في الاعتداد بالنفس، تحطم قرنه الوحيد واختفى من الوجود، لتنشأ من بعده أربعة قرون ظاهرة للعيان، ووجهة كل قرن منها ومقصده ناحية من نواحي الدنيا الأربعة.

وبينما دانيال ينظر ملياً في القرون الأربعة، إذا به يرى قرن ضئيل الحجم يخرج من بين واحد منها، سرعان ما كبر وازداد حجمه، وأنبسط منتشراً في اتجاهات ثلاث جنوباً وشرقاً وغرباً، أي ناحية الأرض المقدسة وبلاد فلسطين فخر الأراضي، ليغدو وفي فترة زمنية وجيزة على درجة من القوة والتجبر وسعة الملك، ما جعله يبادر بالاعتداء والعدوان على حكام المنطقة، حتى تمكن من قتل بعضهم، وما لم يقتله ساقه إلى الأسر ذليلاً مهاناً.

ولم يفق تكبره وتجبره عند هذا الحد، بل تعمد وعلى نحو سافر ومقيت من منازعة الله تعالى في حكمه وأحكامه، فأبطل بعض عبادات الدين اليهودي وأزالها من الوجود مثل المحرقة الدائمة، وهدم الهيكل، اي أنه عطل العبادات التي كانت تقام في هيكل سليمان. وعلى رأسها ذبح الحيوانات تقرباً لله تعالى، ومن ثم تشتت القائمين عليها من الكهنة، وتفرق العلماء والعاكفين على العبادة، وكان النصر ملازماً وحليفاً له في كل ما أقدم عليه من قبائح ومنكرات، فساد الجور والظلم في زمانه.

عندئذ سمع دانيال حواراً يدور بين ملاكين دون أن يراهما فيسأل الأول عن الوقت الذي يستغرقه تعطيل العبادة واضطهاد العباد في الهيكل، فرد عليه مبيناً أن المدة كلها مقدرة بألفين وثلاث مئة بوم، ثم بعدها يتخلص المعبد والعباد من كافة مظاهر الوثنية التي دنست قدسية المكان وشوهت جماله.

ثم يواصل دانيال روايته للحلم قائلاً:

" وبعد أن شاهدت أنا دانيال الرؤيا وطلبت تفسيراً لها، إذا يشبه إنسان واقف أمامي، وسمعت صوت إنسان، صادراً من بين ضفتي نهر أولاي قائلاً:

- يا جبرائيل فسر لهذا الرجل الرؤيا

فجاء إلّي حيث وقفت، فتولاني الخوف وانطرحت على وجهي فقال لي:

- أفهم يا ابن آدم، أن الرؤيا تختص بوقت المنتهى

وفيما كان يخاطبني وأنا مكب على الأرض غشينى سبات عميق فلمسني وأنهضني على قدمي.[82]

والمقصود ان دانيال وبعد استيعابه لمشاهد الحلم سعى وبلا وعي إلى تفسيرها، وهو ما حدث بالفعل، وفجأة ومن غير سابق إنذار انتصب أمامه مخلوق يماثل الإنسان في الشكل والوصف، وفي هذه اللحظة تنامي إلى ما سمعه صوت بشري ينطق بعبارات واضحة آتياً من موضع بقع وسط شاطئ نهر اولاي ، يطلب بنبرة فيها أمر وتوجيه من جيرائيل عليه السلام أن يفسر له رؤياه.

وفعلاً أقبل جبرئيل كما أُمر إلى حيث كان دانيال واقفاً، فانزعج وفزع لمرآه، وعجز عن الثبات فوقع على وجهه أرضا، ثم خاطبه جبرئيل وهو في حالته تلك موضحاً له أن ذلك الحلم في مجمله وتفصيله هو له على وجه خاص، وذلك كي يعرف المدة الزمانية التي ينتهي عندها تعطيل العبادات والشعائر في الهيكل.

وفي الوقت الذي كان دانيال يستمع إلى تلك الكلمات وهو على الأرض، نام نومة خفيفة، ولما أفاق حمله جبرئيل وأوقفه على قدميه، وذلك كي يفسر له مشاهد ومناظر الرؤيا الرمزية، وليحيطه علماً بأقصى ما يمكن ان تبلغه تلك الابتلاءات من زمان ،فقال له:

" ها أنا أطلعك على ما سيحدث في آخر حقبة الغضب، لأن الرؤيا ترتبط بمعياد الانتهاء.

إن الكبش ذو القرنين الذي رأيته هو ملوك مادي وفارس، والتيس الأشعر هو ملك اليونان، والقرن العظيم النابت بين عينيه هو الملك الأول، وما أن انكسر حتى خلفه أربعة عوضاً عنه تقاسموا مملكته ولكن لم يماثلوه في قوته.

وفي أواخر ملكهم عندما تبلغ المعاصي أقصى مداها، يقوم ملك فظ حاذق داهية، فيعظم شأنه، أنما ليس بفضل قوته، ويسبب دماراً رهيباً، ويفلح في القضاء على الأقوياء ويقهر شعب الله، وبدهاءه ومكره يحقق مآربه ويتكبر في قلبه ويهلك الكثيرين وهم في طمأنينة، ويتمرد على رئيس الرؤساء، لكنه يتحطم بغير يد إنسان.

ورؤيا الألفين والثلاث مئة يوم التي تجلت لك هي رؤيا حق، ولكن أكتم الرؤيا لأنها لن تحقق الا بعد أيام كثيرة". [83]

وعلى هذا فالكبش ذو القرنين يرمز إلى مملكة مادي وفارس المتحدتين وذلك نتيجة للروابط العريقة والثقافية والتاريخية بينهما، ومع أن الماديين هم أسبق من الفرس في النفوذ السياسي والملك، إلا أن الفرس تبوأوا المراكز القيادية في المملكة الجديدة ، وكانت سلطتهم وتأثيرهم في النقض والإبرام كبيرة وقوية وواسعة ، ولأجل ذلك شبهوا لتقدمهم هذا بالقرن الأطول.

أما التيس ذو الشعر الطويل فيمثل المملكة المقدونية التي لم تكن قوة عالمية قبل ظهور الإسكندر ، ورمز إليه بالقرن الوحيد لهذه المملكة ، لأنه هو دون غيره الذي غزا العلم بسرعة فائقة أذهلت الناس وتجاوزت حدود زمانه ، فتشبهت حركته في الرؤيا بحركة التيس والأقرب إلى الطيران منها إلى حركة العدو العادية.

وكما بينا من قبل فقد أزال الإسكندر مملكة مادي وفارس من الوجود بضربات سريعة، عجزت فيها قوى المملكة من المقاومة أو النهوض، فأنهارت في غمضة عين، تماماً كما حدث للكبش.

ولما طغى الإسكندر وتجبر واغتر بانتصاراته المتتالية والسريعة أخذه الله تعالى وهو في قمة مجده وأوج قوته، ولم يتجاوز عمره الثاني والثلاثين، فتقاسم قواده الأربعة الكبار مملكته الواسعة.

ومع نهاية حكم هؤلاء الأربعة يتردى الناس في هاوية سحيقة من الانحطاط الخلقي، فتكثر المعاصي والشرور وتشيع الموبقات والمنكرات بينهم حتى إذا بلغوا التحلل من الدين والأخلاق، ومن كل قيم الخير أقصى المدى، ظهر ملك جديد، ورمز غليه في الحلم بالقرن الصغير.

ولا تتطابق أوصاف ذلك الإنسان وفقاً لرؤيا دانيال مع ملك مثل تطابقها مع انتيوخس ابيغانس[84]،الحاكم الثامن من الأسرة السلوقية ، الذي اعتلى العرش في انطاكية بعد وفاة أخيه سلوقس الرابع ، مغتصباً اياه من ابن أخيه الوريث الشرعي.

عرف انتوفس بسوء الخلق وبذاءة اللسان وكراهة المنظر، كما كان عصبي المزاج غير متزن نفسياً، فأطلق على نفسه اسم ثيوابيغانس ، أي الإله القاهر المتجلي، هذا في الوقت الذي لم يعرف فيه كيف يحافظ على هيبة الملك ، فقد أشتهر بتودده للعامة

، فقد كان يرقص ويقفز أمام الجميع ببهجة ، ويتلذذ في دورات المياه حينما يسكب أكواب الصمغ فوق رؤوس الحاضرين.

غير أنه كان ذو مهارة فائقة في شئون الحكم وإدارة البلاد، كما تميز بحدة الذكاء ، وجودة الرأي وسعة الأفق ، وهي التي مكنته من السيطرة على الجزء السلوقي لمملكة الاسكندر ، فعاث فيه فساداً ، دون أن يجرؤ أحد على وقفه عند حده ، فتجبر وطغا وتعالى، وتطاول على الله والعباد.

أما جرائمه التي عدت محوراً لرؤيا دانيال، ومرتكزاً لها، فهي مهاجمته كما بينا لفلسطين فخر الأراضي عام 168أو 167 ق.م، واستيلاءه على المدينة المقدسة، وتحويلها إلى مدينة على النمط الإغريقي، وسماها أنطاكية الجديدة، ثم أصدر عدداً من القرارات في حق اليهود،هي[85]:

1- منع تعليم التوراة أو تعلمها.
2- تحريم الختان
3- اجبار اليهو د على الاشتراك في الطقوس الوثنية وتقديم القرابين للآلهة الوثنية.
4- أكل لحم الخنزير
5- عدم حفظ ومراعاة السبت
6- تدمير المباني التي يجتمع فيها اليهود للصلاة، وإقامة معابد للآلهة اليونانية محلها.

وزاد على ذلك بأن هدم هيكل سليمان عليه السلام وأقام مكانه هيكلاً للإله الوثني زفس ، وأمر بتقديم الخنازير كذبائح مقدمة لذلك الآله.

وأما الفترة الزمانية التي تستغرقها تعطيل الصلاة في الهيكل، فمقدرة بألفين وثلاثة مئة يوم ، اي ما بين انتهاك انتيوخس لقدسية المذبح عام 167 و168 ق.م ، وبين إحياء الشعائر والطقوس الدينية ، وتطهيره من كافة صور العبادات الوثنية أيام يهوذا المكابي عام 149 ق.م ، على وجه التقريب ، يعني أن تعطيل العبادة أستمر لفترة تزيد قليلاً عن ستة أعوام.

ورأى دانيال أنتيوخس سوف يتحطم بغير يد إنسان، يعني أن مصيره ونهايته لن تكون من فعل البشر ، بل ان الله تعالى هو وحده الذي يصرعه ، وقد ثبت تاريخياً أن الملك السلوقي أصيب بالجنون ومات بفارس عام 164 ق.م.

وأخيراً علق دانيال على ذلك التفسير قائلاً:

" فضعفت أنا دانيال ونحلت أياماً، ثم قمت وعدت أباشر أعمال الملك، وروعتني الرؤيا، ولم أكن أفهمها. [86]

فالرؤيا إذن قد اثرت في دانيال تأثير بالغ الفظاعة، حتى عافت نفسه الأكل والشرب، وفقدت الحياة معناها، ووهنت قواه إلى درجة النزال الشديد، وذلك لجسامة وعظم ما سيحل ببيت الله وعباده، ولخوفه الشديد أن يعاصر تلك الأحداث الرهيبة، فيكون شاهداً عليها.

وبما أن ذلك هو قضاء الله وقدره المكتوب على عباده، فقد أستسلم لحكم الله، وعاد لمباشرة أعماله، والقيام بمسئولياته الوظيفية كما اعتاد وتعود.

النبؤة الخامسة
سقوط بابل

ضمن إطار الأحداث والوقائع التي سبقت نبؤة دانيال بسقوط الإمبراطورية البابلية، وتلك التي ارتبطت بها ارتباطاً مباشراً ووثيقاً روى سفر دانيال قائلاً:

" وأقام بلشاصر الملك مأدبة عظيمة لنبلاء دولته الألف، وشرب خمراً أمامهم، وفيما هو كان يحتسي الخمر أمر بإحضار آنية الذهب والفضة التي استولى عليها أبوه نبوخذ نصر من هيكل أورشليم ليشرب بها نبلاء مملكته وزوجاته ومحظياته، فأحضروها وشرب بها الملك ونبلاء مملكته وزوجاته ومحظياته، وأخذوا يسبحون آلهة الذهب والفضة والنحاس والخشب والحجر.[87]

يشير توثيق السفر بهذه المقدمة الخبرية إلى أن بيلشاصر دعا في مناسبة من المناسبات العامة وعلى الارجح ما بين عام 542 و 541 ق.م أصحاب المناصب الدستورية الرفيعة في دولته وكبار المسئولين في مؤسسات الحكم.بعدد يقدر بألف شخص إلى وليمة فاخرة حوت كل ما طاب ولذ من أنواع المأكولات والمشروبات.

ولما حضروا في الليلة المتفق عليها للدعوة، وقف العاهل البابلي أمامهم وبيده كأس خمر ، إما للاختفاء بهم ومبالغة منه في تكريمهم ، أو مفتتحاً المأدبة وداعياً الجميع للأكل والشرب، وفيما هو يتناول الخمر جرعة بعد أخرى ، كلَّف معاونيه وهو في حالة من الفرح والانبساط على الآتيان بأواني الذهب والفضة التي استولى عليها والده عنوة من هيكل سليمان عليه السلام.

كانت تلك الأواني وكما عرفنا لا تستخدم ألا في العبادة، وقد قصد بإتيانها وهو في تلك الحالة أن تستخدم ككئوس ليعاقر بها الخمر، ليس فقط أشراف الدولة وسادة المجتمع، بل ايضاً نساءهم ومن هن ذوات مكانة خاصة ومنزلة أثيرة عندهم.

وهو ما تم بالفعل، فأوتي بتلك الأواني المقدسة، وبها شرب بيلشاصر وأشراف الدولة، وأعيان المجتمع، ومن معهم من النساء والخليلات، وهم يرددون بصوت وإيقاع منتظم مختلف أنواع التمجيد والثناء والتنزيه لمعبوداتهم المصنوعة من معادن الأرض شريفها ووضيعها.

وبينما الجميع على تلك الحالة من السعادة والانبساط، حدث ما لم يكن متوقعاً ولا مأمولاً، إذ ظهرت فجأة وكما يروي سفر دانيال:

" أصابع يد إنسان وخطت بإزاء المصباح على كلس جدار قصر الملك، والملك يشاهد اليد الكاتبة، عندئذ شحب وجه الملك، وأفزعته أفكاره واصطكت ركبتاه واعتراه الانهيار، فزعق طالباً أن يحضروا السحرة والكلدانيين والمنجمين، وقال لهم:

- أي رجل يقرأ هذه الكتابة ويفسر محتواها، يرتدي الأرجوان وقلادة من ذهب في عنقه، ويصبح الرجل الثالث المتسلط في المملكة." [88]

ومضمون ذلك الخبر أن الملك وحاشيته ومن معه من المدعوين والمدعوات شاهدوا منظراً شد انتباههم إليه بقوة، وتركزت عليه عيونهم دهشة وانبهارا، فرأوا عل واجهة قصر الملك أو حائطه الخارجي والمبني من مادة الكلس، ومقابل السراج المشتعل

للإضاءة أصابع يد إنسان، وهي تكتب أو ترسم كلمات واضحة، ولكنها ليست مقروءة ولا مفهومة لدى أحد من الحاضرين.

ورأى العاهل البابلي كغيره من المشاهدين اليد وهي تعمل على الكتابة في الحائط الأبيض والمكشوف بنور المصباح القوي، وبأحرف سوداء كبيرة، فأنزعج الملك وتغير لونه، وتعثرت خطاه، وضربت ركبتاه الواحدة بالأخرى، حتى أوشك على السقوط، أما الخواطر التي ترددت في قلبه والأفكار التي جالت في ذهنه عن مغزى وغاية تلك الكتابة فقد تسببت في هلعه وإضطرابه.

عندئذ صاح بأعلى صوته آمراً بسرعة الآتيان بكل قادر على كشف الأسرار والمغيبات والرموز الغامضة، واعداً من يقدر على قراءتها وترجمتها بأجزل العطاء وأعظم الهبات، وهي أن يتبوأ مركزاً دستورياً رفيع المستوى في البلاط الملكي، ويحتل المركز الثالث في السلطة، اي بعده هو ونائبه مباشرة.

ثم روى السفر ما حدث بعد ذلك قائلاً:

" فأقبل حكماء الملك ولكنهم عجزوا عن قراءة الكتابة وعن إطلاع الملك على تفسيرها، فدب الفزع في الملك بلشاصر، وتبدلت هيئته وأعترى عظماءه الاضطراب.[89]

يدل استدعاء الملك السريع للمنجمين أن تلك الكلمات كتبت بغير اللغة المتداولة بينهم، ويؤكد وقوف الحكماء إزاءها حيارى ومبهوتين ، أنها مكتوبة بحروف غريبة عليهم ، وليست شائعة في زمانهم وبالتالي فإن محاولة إظهارها أو معرفة مضمونها فضلاً عن ترجمتها تعد ضرباً من العبث المرذول.

عندئذ تملك الذعر كيان الملك وملأ قلبه ونفسه خوفاً وجزعاً، حتى ظهرت معالم الهلع ومظاهره على ملامح وجهه وحركاته، أما كبار رجالات الدولة فكانوا يتحركون جيئة وذهاباً، ومن غير هدى وبلا انتظام، ومن غير وعي ولا إدراك.

ولما سمعت أم الملك بما جرى لذلك الجمع المذعور دخلت عليهم وخاطبت أبنها قائلة:

" ايها الملك لتعش إلى الأبد، لا تردعك أفكارك ولا يشحب وجهك، لأن في مملكتك رجلاً فيه روح الآلهة القدسيين، وقد تميز في عهد أبيك باستنارة وفهم وحكمة كحكمة الآلهة، فعينه أبوك نبوخذ نصر رئيساً للمجوس والسحرة والكلدانيين والمنجمين، لأن دانيال هذا دعاه الملك بالطشاصر كان يتحلى بروح فاضلة ومعرفة وفطنة وقدرة على تفسير الأحلام، وفك الإلغاز وحل المعضلات، فليدع الآن دانيال ليطلعك على تفسير الكتابة.[90]

أرادت أم الملك بخطابها ذلك أن تنبه أبنها وتلفت نظره إلى حقيقة غابت عنه في غمرة خوفه وشدة انفعاله، وهي أن دانيال هو وحده القادر على قراءة تلك الكلمات وترجمة معانيها، لأنه على صلة مباشرة بالله تعالى، عندها تودي عليه للمثول بين يدي الملك، فلما وقف أمامه شرح له بإيجاز ما حدث لهم قبل قليل، قائلاً:

" هل انت دانيال من المسبيين الذين أحضرهم أبي من ارض يهوذا؟ قد سمعت أن فيك روح الآلهة وأن فيك استنارة وفطنة وحكمة حاذقة ، وقد سبق أن أحضر أمامي الحكماء والسحرة ليقرأوا هذه الكتابة ويطلعوني على تفسيرها فعجزوا عن ذلك ، وأنا قد سمعت عنك أنك قادر على تفسير الأحلام ، وحل المعضلات ، فإن استطعت الآن أن تقرأ الكتابة وتطلعني على تفسيرها ، ترتدي الأرجوان ، وتتقلد طوق الذهب في عنقك وتصبح الرجل الثالث المتسلط في المملكة.[91]

فرد عليه دانيال قائلاً:

" لتبق عطاياك لك، وجد بهباتك على غيري، ولكني أقرأ الكتابة للملك وأطلعه على تفسيرها.[92]

ومقصوده أنه سوف يستجيب لرغبة العاهل البابلي، فيكشف له عن أسرارها، ويبين له مضمونها، ابتغاء مرضاة الله. وعملاً خالصاً لوجهه تعالى، أما هو فليحتفظ بجوائزه لنفسه، وليبحث عن غيره بهداياه، ثم ذكره بما جرى لوالده قائلاً:

" ايها الملك قد وهب الله العلي أباك نبوخذ نصر ملكاً وعظمة وجلالاً وبهاء، ولفرط عظمته التي أنعم الله بها عليه، كانت جميع الأمم والشعوب من كل لسان ترتعد أمامه وتفزع، فكان يقتل من يشاء، ويستحي من يشاء، يرفع من يشاء، ويضع من يشاء.

وعندما شمخ قلبه وقست روحه تعنتاً، عزل عن عرش ملكه وجرد من جلاله، وطرد من بين الناس، وماثل عقله الحيوانات، وصار مأواه مع الحمير الوحشة، فأطعموه العشب كالثيران، وأبتل جسمه بندى السماء، حتى علم أن الله العلي هو المتسلط في مملكة الناس، وأنه يولى من يشاء.[93]

ولعل هذه هي المرة الأولى التي يسمع فيها بيلشاصر أن جنون والده كان نتيجة طبيعية لجحوده فضل الله عليه، وإنكاره لنعمه الكثيرة، وخيره الوفير، يضاف إلى ذلك تكبره واستعلاءه على الناس حتى توهم أنه آله بشري، ولا راد لقضاءه ، ولا معترض لحكمه ، فأذله الله بأن أنزله من مرتبة الملك والسلطان إلى مرتبة هي دون مرتبة الحيوان بكثير .

وبعد هذا التذكير البسيط وتلك الموعظة المؤثرة قال له بلا ألقاب وبلا مؤاربة:

" وأنت يا بلشاصر ابنه لم يتواضع قلبك مع علمك بكل هذا ،بل تغطرست على رب السماء ، فأحضروا أمامك آنية هيكله لتشرب لها الخمر، أنت ونبلاء دولتك زوجاتك ومحظياتك ، وسبحت آلهة الفضة والذهب والنحاس والحديد والخشب والحجر التي الا تبصر ولا تسمع ولا تدرك ، أما الله الذي بيده روحك ، وله كل طرقك فلم تمجده ، عندئذ أرسل أليك من حضرته هذه اليد فخطت هذه الكتابة."[94]

واجه دانيال الملك بالحقيقة المرة، فها هو يعيد سيرة والده بلا تبصر ومن غير دراية، ويكرر مرة أخرى أعمال والده المجحدة لنعم الله وأفضاله، بل تجاسر وفعل ما لم يفعله والده، وهو أن سمح باستخدام الآنية المقدسة والمأخوذة من بيت المقدس تعبأ فيها الخمر ومنها تشرب.

وليت الأمر وقف عند هذا الحد، بل تعداه بأن جعلها مناسبة لتعظيم أصنامهم وأوثانهم وتمجيدها والثناء عليها، ثناء شارك فيه الجميع بفرح وابتهاج، أما الله الذي بيده مقاليد الأمور، فلم يتقدم إليه أحد من الحاضرين بالحمد والشكر، ولا بأي شكل من أشكال التعظيم والإجلال، وهو الذي يعث إليه برسالة خاصة تحتوي على تلك الكلمات الغامضة.

ثم قرأ عليه الكلمات بنصها وترجمتها قائلاً:

" وهي مَنَامَنَا تقيل وفَرّسين، وتفسيرها:

- منامنا: أحصى الله الأيام ملكك وأنهاه
- تقيل : وزنت بالموازيين فوجدت ناقصاً.
- فرّسين: شطرت مملكتك وأعطيت لمادي وفارس." [95]

أن نسبة تلك لكلمات الثلاث إلى لغة واحدة من اللغات العروبية القديمة لازال موضع خلاف ، ولكنها ليست بأي حال من الأحوال باللغة الآكادية لغة الخطابة والمكاتبات ،ولا لغة من اللغات التي هي شكلاً من أشكالها ، وتمكن دانيال بما أفاض الله عليه من وحي وعلم من قراءاتها وترجتها معاً.

فالكلمة الأولى تعني أن الله تعالى قد قدر عدد الأيام المتبقية لبيلتشاصر في الحكم، أو بعبارة أدق ان الله حكم حكماً نافذاً الحد الذي ينتهي عنده ملكه وملك أباءه وأجداده.

وتعني الكلمة الثانية أن بيلشاصر قوّم بالمعايير التقليدية لمعرفة منزلته ومقامه عند الله، فأتضح أن الجانب الأعظم من خصال الخير فيه ذهبت أدراج الرياح، ومن ثم خسر ملكه وضاعت دنياه سدى.

وأما الكلمة الأخيرة فيدل معناها في مجمله على سقوط بابل المدينة الناعمة المترفة، ومجد الممالك وسيدة الأمم، وفخر الكلدانيين، وانتزاعها من بين أيديهم عنوة واقتدارا، لا بل هو أشبه باقتلاعها من جذورها وتسليمها لدولة مادي وفارس.

وكانت بابل[96]عاصمة الشرق كله بلا منازع، وأكبر عواصم العالم القديم وأعظمها أبهة وفخامة، وقد بنيت على هيئة مربع كامل، محيطه ستون ميلاً، وطول كل جانب من جوانبه خمسة عشرة ميلاً ، أما الأسوار المحيطة بالمدينة فكان ارتفاعها 350 قدماً وسمكها 87 قدماً ، وتحتوي على مئة بوابة من النحاس الصلب.

وكان نهر الفرات يجري وسط وتحت الأسوار ويقطع المدينة بشكل مائل. وكانت مبانيها كلها تقريباً من الآجر، وذلك لندرة الحجارة في أرضها، ولكن هذا الآجر كان يغطي في كثير من الأحيان بالقرميد المنقوش البراق ذي اللون الأزرق، أو الأصفر أو الأبيض المزين بصور الحيوانات، وغيرها من الصور البارزة المصقولة اللامعة.

واشتهرت بابل بحدائق بابل المعلقة والتي تعد واحدة من عجائب الدنيا السبع، وكانت مقامة على أساطين متتالية مستديرة كل طبقة منها فوق الأخرى، وغطى سطحها الأعلى بطبقة من الغرين الخصيب يبلغ سمكها عدة أقدام، لا تتسع للأزهار والنباتات المختلفة فحسب، بل تتسع أيضاً لأكبر الأشجار وأطولها جذوراً، وتكفي تربتها لغذائها،

وكانت المياه ترفع من نهر الفرات إلى أعلى طبقة في الحديقة بالآت مائية مخبأة في الأساطين يتناوب على إدارتها طوائف من الرقيق.

كان الاستيلاء على بابل من قبل الفرس أمر غاية الصعوبة،أن لم يكن مستحيلاً ، وذلك لأن طول سور المدينة يبلغ مئة وخمسون ميلاً ، وارتفاعه ثمانين ذراعاً ، ويبلغ عرضه حداً تستطيع معه عربة تجرها جياد أن تجري في أعلاه ، وأقيمت فوق السور حوالي خمسين برجاً ، تقف شامخة كالجبال الرواسي.وعلى الرغم من تلك الصعوبات والعقبات فقد توجه الملك الفارسي قورش على رأس جيشه للاستيلاء عليها، فعبر نهر دجلة في ربيع عام 539 ق.م ، وتم سقوطها المدوي على النحو التالي: [97]

كان الاستيلاء على المدينة يشن حملة عليها أمراً غاية في الصعوبة، كما كان حصارها يستغرق زمناً طويلاً، لأن البابليين كانوا يزرعون المناطق الشاسعة المحيطة بالمدينة وبداخلها، فاهتدى قورش إلى حيلة بسيطة لم يفطن إليها البابليون وهي:

تحويله مجرى الفرات الذي كان يجري في المدينة إلى بحيرات صناعية، وحين نقصت المياه وانحسرت داخل المدينة، وأمكنه هو وجنوده من خوض النهر، دخل تحت الأسوار وتحديداً في المنطقة الواقعة بين بابل وسد نبوخذ نصر، ثم تقدم بعد ذلك إلى الناحية الشمالية حيث فصل بين الجيش وبين المدينة، وبعد أن أوقع الهزيمة به ، إتاح ذلك إلى قائد جيشه من دخول المدينة من الناحية الجنوبية ، عندها استسلم الملك البابلي بلا قيد ولا شرط .

أظهر قورش فعلاً ما كان يتمتع به من خلق ودين وما اشتهر به من رحمة بالمغلوبين والأسرى، فترك بابل كما دخلها فلم يتعرض لمبانيها بالهدم والتخريب، ولم يمس بالسوء أحداً من سكانها، ثم عين داراً حكاماً على الإمبراطورية البابلية نيابة عنه وشكل جهازاً إداريا من 120 موظفاً يشرفون على أقاليم البلاد، واختار ثلاثة وزراء أحدهم دانيال للإشراف على خزينة الدولة وكان وقتها في الثمانين من عمره.

النبؤة السادسة
خراب الهيكل الأخير

يروى دانيال في مقدمة حديثه عن هذه النبؤة قائلاً: " في السنة الأولى من حكم دارايوس بن احشويرش من ذرية الماديين، الذي اعتلى عرش مملكة الكلدانيين في السنة الأولى من مملكه، إدركت أنا دانيال من دراسة الأسفار التي دون فيها وحي الرب إلى آرميا . أن عدد السنوات التي قضى بها على خراب اورشليم هو سبعون سنة." [98]

يعني أن الأحداث التي تلت سقوط بابل، وظهور الفرس كقوة عالمية جديدة هي التي دفعت دانيال بالرجوع إلى قراءة سفر أرميا، وذلك لمعرفته المسبقة بأنه هو السفر الوحيد الذي تنبأ بعدد السنوات التي تظل فيها أورشليم خراباً، وهو بهذا يشير إلى نصين ذكرهما أرميا.

حدد في الأول منها فترة السبي البابلي بسبعين سنة، فقال بعد تاريخه لانتصارات نبوخذ نصر واستيلاءه على معظم دول المنطقة:

" وتستبعد جميع هذه الأمم لملك بابل سبعين سنة، وفي ختام السبعين أعاقب ملك بابل وأمته وأرض الكلدانيين على أثمهم وأحولها إلى خراب أبدي.[99]

ومنه تيقن دانيال بأن فترة السبعين سنة للأسر قد أوشكت على بلوغ نهايتها المحتومة.

وتنبأ في الثاني بعودة المسببين إلى أرضهم وبلادهم وتعمير الهيكل وإعادته إلى سابق عهده، جاء فيه:

" ولكن بعد انقضاء سبعين سنة عليكم في بابل التقت إليكم وأفي لكن بوعودي الصالحة بردكم إلى هذا الموضع، لأني عرفت ما رسمته لكم." [100]

غير أن دانيال لم يكن مطمئناً ابداً للمتغيرات الدولية، ولا لذلك الانقلاب الهائل في موازين القوى بسقوط أعظم الإمبراطوريات وأكثرها عتواً وتجبراً واستكباراً في الأرض ، بل أن صحت العبارة كان ينظر إلى المستقبل وإلى ما تتمخض عنه الأيام المقبلة بخوف وقلق وتوجس ، فروى ما فعله بقوله:

" فاتجهت بنفسي إلى السيد الرب، أبتهل إليه بالصلاة والتضرعات والصوم وارتداء المسح والتعفر بالرماد." [101]

فهو إذن قد اعتزل الناس وهجرهم، واختلى بنفسه منتظماً في الصلاة والصوم، ولباس اخشن الثياب واثقلها والتمرغ ليس فقط في تراب الأرض بل فيما تبقى من المواد بعد احتراقها، وفي النهاية توجه إلى الله وبتجرد كامل بهذا الدعاء:

" ايها الرب الآله العظيم المهوب، حافظ العهد والرحمة لمحبيه وعاملي وصاياه، أننا أخطأنا واثمنا وأرتكبنا الشر ، وتمردنا وانحرفنا عن وصاياك وأحكامك ، ولم نسمع لعبيدك الأنبياء الذين باسمك أنذروا ملوكنا ورؤساءنا وآبائنا وجميع شعب الأرض.

لك ايها السيد البر ولنا الخزى ، كما هو حادث اليوم لرجال يهوذا ولأهل اورشليم ، ولسائر بنى اسرائيل القربيين والبعيدين ، المشتتين في كل البلدان التي اجليتهم إليها عقاباً لهم على ما أقترفوه من خيانة في حقك.

قلنا ايها السيد الخزى ، نحن وملوكنا ورؤسائنا وأبائنا ،لأننا أخطأنا إليك، إنما للرب الهنا الرحمة والمغفرة ، لأننا عصيناك ، ولم نطع صوت الرب آلهنا لنسلك في شرائعه التي اعلنها لنا على لسان عبيده الأنبياء ، قد تعدى كل شعب اسرائيل على شريعتك ، وانحرفوا فلم يسمعوا صوتك ، فسكبت علينا اللعنة.

لقد تعدى كل شعب اسرائيل على شريعتك وانحرفوا فلم يسمعوا صوتك فسكبت علينا اللعنة ، وما أقسمت أن توقعه قضاءك الذي قضيت به علينا وعلى قضاتنا الذين تولوا أمرنا ، جالباً علينا وعلى أورشليم شراً عظيماً لم يحدث له مثيل تحت السماء.

وكما ورد في شريعة موسى، أصابنا هذا البلاء ولم نستعطف وجهك ايها الرب آلهنا تائبين عن أثامنا ومنتبهين لحقك، فأضمرت لنا العقاب وأوقعته بنا، لأنك آلهنا البار في كل أعمالك التي صنعتها، لأننا لم نستمع إليك.

والآن أيها السيد الرب آلهنا، يا من أخرجت شعبك من ديار مصر بقوة مقتدرة، واشهرت اسمك كما هو حادث اليوم قد أخطأنا وارتكبنا الشر، فأصرف ياسيد حسب رحمتك سخطك وغضبك عن مدينتك اورشليم جبل قدسك، إذ من جراء خطايانا وآثام أباؤنا أصبحت أورشليم مثار عار لنا عند جميع المحيطين لنا، فانصت الآن يا آلهنا إلى صلاة عبدك وابتهالاته، واضئ بوجهك على هيكلك المتهدم من أجل ذلك.

أرهف أذنك ياآلهي وأستمع وأفتح عينيك وشاهد خرائبنا في المدينة التي دعى اسمك عليها ، فأننا لا من أجل بر فينا نرفع تضرعاتنا إليك بل بفضل مراحمك العظيمة ، فاستمع أيها السيد وأغفر ، أصغ ايها السيد وتصرف ولا تبطئ من أجل نفسك يا آلهي لأن اسمك دعى على مدينتك وعلى شعبك. [102]

وكما هو بين بنفسه فإن دانيال قسم دعاءه إلى جزئين:

الأول:إقرار واعتراف منه بما ارتكبوه في حقه تعالى من تجاهل وأعراض عن انبياءه ورسله، وتجاوز لأحكام الشريعة الموسوية وإهمال لها، وعدم حرصهم على طاعة الله ، وارتكابهم لكافة أنواع الخطايا والذنوب . دون ندم ولا رغبة في التوبة والإنابة، فغضب الله عليهم جميعاً سادتهم وعبيدهم، علماءهم وجهالهم ، فعاقبهم بعقوبة لا مثيل لها في تاريخ البشرية ، وهي السبي والطرد من بلادهم،وفوق ذلك كله انتهاك حرمة مقدساتهم وعلى نهب بيت الله بما حوى ، ثم تخريبه على يد نبوخذ نصر ، وفي أربع مرات متباعدة الزمان، وذلك في عام 605 و 597 و587 وأخيرا عام 582 ق.م .

والثاني: طلب فيه من الله الاستجابة لدعاءه برفع ذل السبي والأسر عنهم، وإعادتهم إلى ديارهم ، وإعادة مدينتهم المقدسة إلى سابق عهدها مكاناً للشعائر الدينية ، ومعتكفاً للزهاء والعباد.

ثم يروي دانيال بعد هذا الدعاء قائلاً:

" وبينما كنت أصلي واعترف بخطيئتي وخطيئة شعبي اسرائيل وأرفع تضرعاتي أمام الرب إلى من أجل جبل قدسي الهي، إذا بالملاك جبرائيل الذي عاينته في الرؤيا في البدء مسرعاً ولمسني في موعد تقدمة المساء." [103]

ومقصوده أنه عندما كان منهمكاً في صلاته ودعاءه، وغافلاً مما يجري حوله، أتاه جبريل عليه السلام عند مغرب الشمس، حيث اعتاد التوجه لله بالذكر والعبادة ومسه مساً رقيقاً ليشعره بوجوده ، ولينقل إليه على الفور ما أخبر بإعلامه له، فبدأه بقوله:

" يا دانيال قد جئت لأعلمك الفهم ، فمنذ أن شرعت في تضرعاتك صدر الأمر لأجئ اليك وأطلعك على ما تبقى ، لأنك محبوب جداً ، لهذا تأمل ما أقول ، وافهم الرؤيا". (104)

والمعنى أن الله تعالى قد استجاب لتذلله وابتهالاته ، وهاهو جبرئيل عليه السلام أتى بنفسه حاملاً رسالة أو وحي من عند الله تعالى ليزيح عن قلبه القلق والخوف من المستقبل في ظل تلك التغيرات الهائلة ، ويكشف له في الوقت نفسه عن بعض الأحداث في حقب الزمان المقبلة فقال له:

" قد صدر القضاء أن يمضي سبعون أسبوعاً على شعبك وعلى مدينة قدسك للانتهاء من المعصية والقضاء على الخطيئة وللتكفير على الإثم، ولإشاعة البر الآبدي وختم الرؤيا والنبؤة ولمسح قدوس القديسيين.

لهذا فأعلم وأفهم أن الحقبة الممتدة منذ صدور الأمر بإعادة بناء أورشليم إلى مجئ المسيح سبعة أسابيع ثم أثنان وستون أسبوعاً يبنى سوق وخليج ، انما تكون تلك أزمنة ضيق.

وبعد اثنين وستين أسبوعاً يقتل المسيح، ولكن ليس من أجل نفسه،ويدمر شعب رئيس آت المدينة والقدس. وتقبل آخرتها كطوفان، وتستمر الحرب حتى النهاية ويعم الخراب المقضى به ، ويبرم عهداً ثابث ثابتاً مع كثيرين لمدة أسبوع ، ولكنه في وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة ويقيم على جناح الهيكل ورجاسة الخراب ، إل أن يتم القضاء على المخرب. (105)

وتفصيل بيان حكم معه ومعناه، وكما ألقاه جبرئيل على دانيال على النحو التالي:

أولاً: إن الفترة الزمنية التي تمر على الأمة والمدينة المقدمة ليكف فيها الناس عن المعاصي، وينتهوا فيها عن الخطايا، ويكفروا خلالها عن ذنوبهم ،ثم نشر وإذاعة الخير والأحسان والاحتفاظ بالرؤى والالام المنبئة وكذلك الوحي والنبؤة ، وأخيراً تكريس المسيح عليه السلام رسولاً هي سبعون أسبوعا.

ثانياً: ان الفترة الزمانية بين القرار الصادر بإعادة بناء المدينة المقدسة، وبين مجئ المسيح هي سبعة أسابيع ، تقم خلالها الأسواق والخلجان ، أي تعمر فيها حياة الناس ، يليها أثنان وستون أسبوعاً تقام في اثناءها الأسواق وتحفر الخلجان ، غير أن الأسابيع الأخيرة وان كانت زاخرة بالحياة والحيوية ، إلا أنها أزمنة فيها الكثير من القسوة والضنك.

ثالثاً: وبعد أثنين وسبعون أسبوعا على تلك الفترة يرفع المسيح (يقتل) بلا إرادة منه، وتدخل أمة وقائدها المدينة المقدسة والمذبح، أي الجزء المقدس من البيت، وتأتي نهاية الأحداث كالسيل العرم، أما الحرب فتدوم حتى تبلغ غايتها فيسود الدمار وتعم الفوضى.

ثم يبرم عقد أمان وميثاق سلام دائم مع عدد كبير من الناس، ولفترة حددت بأسبوع واحد، وفي منتصفه تلغى العبادات في البيت، مثل تقديم القرابين، ويحل بدلاً عنها وعلى جانب من البيت عبادة الأصنام، وتظل قائمة ويقصدها الناس للتعبد، إلى نزول حكم الله وعقابه على من هدم البيت وفرض فيه عبادة الأصنام.

ولا يراد بالأسبوع في تلك الرسالة الإلهية لدانيال وقومه الأيام التي يدور عليها الزمان، والمبتدئة باليوم الأول والمنهية باليوم السابع.

بل يراد به ما كان معروفاً ومتداولاً به في استخداماتهم للوقت في حركته غير الثابتة. وفي تدفقه وسيلانه البطئ ، وأعني به دورة كاملة من الزمان بلا عدد محدد لها ، ولا تحسب بالسنين ، وتشبه في كمالنا دورة الشمس والقمر حول الأرض.

وكان البابليون وكما بينا من قبل يعتبرون الأسبوع وحدة زمانية تامة ومتكاملة ،حتى أنهم أطلقوا كلمة واحدة على العدد سبعة وكلمة كل ، وذلك لأن العدد سبعة يرمز أو يمثل عندهم التمام والكمال، أو بمعنى آخر دورة زمانية لها بداية ونهاية، وليس بالضرورة حصرها أو حسابها بالسنوات.

وعلى الأرجح فأن الدورة الزمانية المشار إليها في نبؤة دانيال بالأسبوع هي حقبة زمانية تمتد من حدث سابق إلى حدث لاحق، أي بلوغ مجموعة من الأحداث التاريخية والوقائع الزمانية منتهاها الطبيعي ونهايتها الحتمية، وبناء عليه يمكن تحديد الأزمنة المشار إليها في النبؤة على النحو التالي:

تبدأ الدورة الأولى عقب رسالة جبرئيل عليه السلام، وفيها تاب اليهود عن خطاياهم، وأنابوا إلى ربهم فرفع الله عنه ذل الأسر والسبي، حيث أعيد بناء الهيكل من جديد، وعممت البلاد وأحييت الأسواق بالبيع والشراء، وأزدهرت الحركة التجارية، وعادت المدينة كاملة المرافق والخدمات.

أما الدورة الثانية فتبدأ بغزو البطالسة للبلاد واستيلاءهم على فلسطين،وفيها سطع نجم المكابيين الذين طهروا الهيكل من الأوثان التي أقامها انتبخيوس انيفيلنس كما ذكرنا ، واستمروا حكاماً حتى دخول الرومان ، واستيلاء بمباي على المدينة المقدسة عام 63 ق.م.

غير أن حكم الرومان للبلاد كان بموجب اتفاق بينهم وبين السكان، التزموا فيه بتوفير الأمن والحماية للأهالي، وإعفاءهم من أغلب وظائف المواطنين الضرورية وعلى رأسها الدفاع عن البلاد، كما ألتزموا ايضاً بتركهم أحراراً في إدارة شئونهم المتعلقة بالشريعة الطقسية والجنائية والمدنية.

وفي هذه الفترة أعاد هيرودتس[106] بناء الهيكل، وفيها ولد المسيح عليه السلام عام 4 ق.م وبشر قومه بالأنجيل إلى أن رفع حيا إلى السماء حوالي عام 30 أو 29 بعد الميلاد

أما الدورة الثالثة والأخيرة، فبدأت بعد رفع المسبح إلى السماء، وفيها أعلن اليهود العصيان على السلطة الرومانية، فأرسل الإمبراطور في روما أبنه تيتوس عام

70 م[107] على راس جيش كبير فحاصر اورشليم، وشدد الحصار حول قلعتها، مما أدى إلى انتشار المجاعة والمرض، وفي الوقت المناسب دمرت الأسوار وهجم الجند على الهيكل ، وكان معظمه مشيداً بالخشب فأحترق عن أخره.

وبعد سقوط المدينة أمر تيتوس بحل التنظيمات السياسية والدينية لليهود، وفرض عليهم ضريبة الرأس السنوية ومقدارها دينارين رومانيين تدفع لحساب معبد جوبيتر الروماني إمعاناً في إذلالهم.

أما المدينة نفسها فقد هجرت من مكانها، ولم يبق فيها سوى الحامية الرومانية.

وكان تدمير الهيكل وإقامة صنم كبير فيه ومصادرة كل أملاك اليهود وصدور المراسم الإمبراطورية بتحريم دخولهم أورشليم، هو بداية النهاية للوجود اليهودي في المنطقة ككل.

ولما زار الإمبراطور هارديان(117 - 138)[108]فلسطين ودخل المدينة المقدسة وجدها إقلالا وهيكل سليمان تسكنه الثعالب، واليهود مشردين ومحرم عليهم الاقتراب من الهيكل المدمر ، فقرر إعادة بناء المدنية من جديد على الطراز الروماني ، وتغيير كل شئ فيها حتى أسمها ، بحيث تصبح مدينة مختلفة تماماً عما كانت عليه.

فأقام اولاً مكان الهيكل معبداً كبيراً لجوبيتر أعظم آلهة الرومان ، ووضع فيه تمثالاً لهذا الآلة كالتمثال المقام في معبد الكابيتول في روما ، كما أحيأ في مدينة عبادة الإمبراطور ، وملأ المدينة بالحمامات والملاه والساحات الرياضية على النمط السائد في روما.

ثم أطلق على المدينة اسم أيليا كابيتولينا "أي أيليا الكبرى، وايليا (ايليوس) هو اسم عائلة الإمبراطور، وظل الناس يتناقلون الاسم حتى ظهور الإسلام، وهو الاسم الذي تضمنته العهدة العمرية التي حررها عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما دخلها فاتحاً عام 638م.

وكل تلك الأحداث التي جاءت مقرونة بعبارة رجسة الخراب أو رجاسة ،أي إقامة هيكل للأوثان والأصنام بجانب الهيكل في المدينة لمقدسة هي ايضاً التي تنبأ بها عيسى عليه السلام ، حيث قال للناس:

"فعندما ترون رجاسة الخراب التي قيل بلسان دانيال النبي قائمة في المكان المقدس، ليفهم القارئ، عندئذ ليهرب الذين في منطقة اليهودية إلى الجبال، ومن كان على السطح فلا ينزل ليأخذ مافي بيته ومن كان في الحقل فلا يرجع ليأخذ ثوبه، والويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام، فصلوا لكي لا يكون هربكم في شتاء أو في سبت، فسوف تحدث عندئذ ضيقة عظيمة لم يحدث مثلها منذ بدء العالم إلى الآن ولن يحدث. [109]

وعبارات المسح عليه السلام تصور ما حل بالهيكل من خراب مادي وروحي، وتكشف في الوقت تشتت اليهود وتفرقهم هائمين وممعنين في البعد عن الهيكل والمدينة المقدسة ما استطاعوا إليه في بلاد العالم، ولم يعودوا إلى المنطقة إلا عام 1948م ، ولم يدخلوا المدينة الا عام 1967م.

النبؤة السابعة
العودة إلى المدينة المقدسة

يؤرخ كاتب سفر دانيال لوقائع آخر نبؤة ورؤيا لدانيال بقوله:

" في السنة الثالثة لحكم قورش ملك فارس، أعلن وحي لدانيال المدعو بلطاشاصر ، والوحي دائماً حق، وبعد مكابدة مجهدة أدرك فحوى الوحي وفهم معنى الرؤيا.[110]

والسنة الثالثة لتولى قورش الإمبراطورية المادية الفارسية سنة 536 ق.م ، أي قبل سنتين من صدور قراره القاضي بالسماح لليهود بالعودة إلى ديارهم وإعادة بناء الهيكل ، وقد اغتنم الكثير منهم الفرصة ورجعوا إلى المدينة المقدسة ، وأثر دانيال البقاء في بابل لكبر سنه وضعف بنيته الجسدية التي لا تساعده لتحمل رحلة طويلة ومضنية.

وكما يفيد نص الخبر فإن النبؤة كانت هذه المرة بوحي من عند الله، وبعد معاناة قاسية ومتعبة في تلقيه، أستطاع أن يتمثل حقيقته ويتصور مضمونه، ويحيط به علماً، ثم أرخ دانيال للفترة التي سبقته بقوله:

" في ذلك الوقت أنا دانيال قضيت ثلاثة أسابيع في النوم لم أكل فيها طعاماً شهياً، ولم يدخل فمي لحم أو خمر، ولم أتطيب بدهن".[111]

يعني أنه أمضى قبل نزول الوحي عليه أحد وعشرين يوماً في الحزن والبكاء، وقد عافت نفسه الأكل والشراب والروائح العطرة، وفي اليوم الرابع والعشرين من الشهر الأول لسنة 536 ق.م ، وبينما كان واقفاً إلى جوار النهر الكبير بصحبة مجموعة من الرجال رفع بشكل تلقائي ، فإذا به يرى رجلاً وصفه بقوله:

" كان مرتد كتاناً، وحقواه متحزمان بنطاق من ذهب نقي، وجسمه بالزبرجد، ووجهه يتألق كالبرق، وعيناه تتوهجان كمصباحي نار، وذراعاه ورجلاه لامعة كالنحاس المصقول، وأصداء كلماته كجلبة جمهور."

رأى دانيال وكما هو بيَّن من وصفه الدقيق رجلاً ذكر بالغ كسائر بني البشر، يلبس ثوباً منسوجاً من نبات الكتان الأزرق، والأكثر شيوعاً في صناعة الملابس الرجالية، وشد حول خصره أو في وسطه حزام من ذهب خالص.

أما لون جسمه فاخضر فاتح يشبه حجر الزبرجد الشفاف وينبعث من وجهه نور يشبه البرق في لمعانه وسرعته، وكانت عيناه تتوقدان ناراً كالنار المشتعلة في السراج ، ويتدفق من رجليه وذراعيه نور يشبه في إضاءته ولمعانه النور المنبعث من النحاس لذي أزيل عنه صداه، وكانت تموجات صوته تشبه في رجعها وترددها وقوتها الضجة المثارة من قبل جماعة من الناس حين يعلو صياحهم ، وتختلط أصواتهم بعضها ببعض.

ثم روي دانيال ما جرى له ولمن حوله جراء الظهور المفاجئ للرجل بذلك الوصف غير المألوف في أشكال الرجال وهيئاتهم، والباعث على الخوف والاضطراب، فقال:

" كنت انا وحدي دانيال الذي شاهدت الرؤيا، أما الرجال الذين كانوا معي فلم يروا شيئاً، إنما هيمنت عليهم رعدة عظيمة فهربوا مختبئين، وبقيت أنا وحدي أشهد الرؤيا العظيمة، وقد تلاشت مني القوة، وتحولت نضارتي إلى ذبول، وفقدت قدرتي، وما أن سمعت أصداء كلماته حتى سقطت على وجهي إلى الأرض يغشاني سبات عميق." (112)

أحدث مرآى الرجل المفاجئ حالة من الذعر والهلع بين من كانوا في صحبة دانيال على ضفة نهر دجلة، افقدتهم مقدرتهم الطبيعية على الثبات، واعتراهم من الأضطراب والارتباك ما دفعهم للابتعاد عنه بسرعة وعدم انتظام واللجوء إلى أقرب موضع يسترهم عن مرآه.

أما دانيال فهو وحده الذي ثبت واقفاً في محله، ممعناً النظر إليه، ومتأملاً في غرابة ملامحه، ولكن تلك الرؤيا على قصرها آثرت في كيانه النفسي والبدني، فانحلت قواه، وشحب لونه ، وذهب جماله وحسنه، وأحس بالعجز التام في جسمه كله.

وعندما سمع صوته يتردد في أرجاء المكان وقع منهاراً على الأرض كالمغمى عليه، ودخل بعدها في نومة خفيفة عزلته بالكلية عمن حوله، وبما أن الفترة التي قضاها دانيال نائماً كانت طارئة ووجيزة، فسرعان ما أستعاد وعيه وشعوره بمجرد أن أحس بيد تمسه مساً خفيفاً ورقيقاً، فيحكي قائلاً:

" فإذا بيد لمستني وأقامتني وأنا أرتجف على يدي وركبتي، وقال لي:

- يا دانيال أيها الرجل المحبوب، أفهم الكلام الذي أخطابك به، وقف على رجليك، لأنني أرسلت إليك." (113)

قصد الرجل بكلامه لدانيال هو على تلك الحالة من الارتعاش بأنه رسول من عند الله إلى طمأنته، وتهدئة نفسه المهتاجة وتسكين مخاوفه، فنهض وهو على حالته تلك من الاضطراب، عندئذ قال له:

" لا تخف يا دانيال ، فمنذ اليوم الأول الذي عزمت فيه على الفهم، وتذللت أمام ألهك، سمعت تضرعاتك، وهاأنا جئت تلبية لها، غير أن رئيس مملكة فارس قاومني واحداً وعشرين يوماً، فأقبل ميخائيل، أحد كبار الرؤساء لمعونتي بعد أن حجزت هناك عند ملوك فارس، وقد جئت الآن لأطلعك على ما يصيب شعبك في الأيام المقبلة". (114)

أن مجئ ملاك الله تعالى لدانيال على تلك الهيئة ليس كالمرات السابقة، فقد صادفته في طريقه إليه عقبة كبرى تمثلت في ظهور كائن روحي قوي رمز إليه برئيس مملكة فارس، أحال بينه وبين مهمته لمدة ثلاثة أسابيع، ولكن مداومة دانيال على الصلاة والصوم والتضرع هي وحدها التي أوهنت قواه، وأزاحته عن طريقه، وبمساعدة خاصة من ميخائيل رئيس الملائكة.

وهاهو الآن بين يديه ليكشف له ما سوف يحل بشعبه في آخر أيام الزمان، لأن النبؤة أو الرؤيا أتي يحملها له قد بينت وعلى نحو تفصيلي عن تلك الأيام.

ثم تحدث دانيال واصفاً حالته بعد سماعه لذلك التقرير:

" فلما خاطبني بمثل هذا الكلام، أطرقت بوجهي إلى الأرض وصمت، وإذا بشبه بنى البشر لمس شفتي ففتحت فمي وقلت للماثل أمامي:
- يا سيدي قد غلبني الألم بسبب الرؤيا، فما امتلكت قوة فكيف يستطيع عبد سيدي هذا ان يحدث مع سيدي، وقد نضبت مني القوة ولم تبق فيّ نسمة. (115)

يعني أن دانيال حار في أمره، ولم يدري ماذا يفعل، فإن ما يواجهه أجل وأكبر من أن تحتمله قواه، غير أن الحركات الرقيقة للملاك هي التي شجعته على الكلام فرد عليه معتذراً بأن الآلام الكثيرة التي سببتها له الرؤيا قد أخذت بخناقه، ثم تساءل وهو المحروم من القوة والاقتدار لم يخاطبه الله أو يوحي إليه وهو قاب قوسين أو أدنى من الموت.

وكان رد الملاك الطبيعي إزاء حالة دانيال المتردية هي الشد من أزره قائلاً:
" لا تخف أيها الرجل المحبوب، سلام عليك، تقو وتشجع : (116)
وفعلت كلمات الملاك فعلها في نفس دانيال، فشعر بالقوة تسري في كيانه، وتهيأ قلبياً وعقلياً لسماع ما يقوله له ، فسأله الملاك:
" هل أدركت لماذا جئت إليك، والآن ها أنا أعود لأحارب رئيس فارس، وما أن أنتهى منه حتى يقبل رئيس اليونان، ولكني أطلعك على ما نص عليه في كتاب الحق، ولا أحد يوازرني ضد هؤلاء سوى حارس شعبكم الملاك ميخائيل. (117)

أراد الملاك بسؤاله لدانيال ذلك السؤال المباشر التأكد من حقيقتين:
أولهما : استيعابه لما جاء به من عند الله ، علمياً ومعرفياً
وثانيها: إعلامه بحقيقة ما كتبه الله وقضى به على شعبه في اللوح المحفوظ.

أما حرب الملاك مع ملوك الفرس واليونان، ومساندة ميخائيل ومعاونته له في قتاله لهم ، فموجودة في قوله له:
" لقد سبق لي في السنة الأولى من حكم دارايوس المادي أن أزرته وشددته، والآن لأكشفن لك الحقيقة، فها ثلاثة ملوك يتولون حكم فارس يعقبهم رابع يكون أوفرهم ثراء. وبفضل قوة غناه يثير الجميع على مملكة اليونان، ولكن لا يلبث أن يظهر في اليونان ملك عات يتمتع بسلطان عظيم ويفعل ما يحلو له، ولكن في ذروة قوته تنقسم مملكته إلى أربعة أقسام،فلا تكون لعقبة ولا تكون في مثل قوة ملكه، بل يتولاها آخرون، أما سلطانه فينقرض" (118)

أن تلك الوقائع التاريخية قد سبق ذكرها في بعض نبؤات دانيال السابقة، والجديد هنا أن الإمبراطورية المادية الفارسية يتعاقب على عشرة ملوك على التوالي، آخرهم دارا الذي يعد أكثرهم ثروة وأتمهم غنى، مما أغراه على حشد الطاقات وتهييج الناس ضد المملكة المقدونية ، فظهر الاسكندر وهزمه وشيد صرح إمبراطورية عظمى ، وبعد موته سيطر كبار قواده على مملكته وتقاسموها فيما بينهم.

أما ما يحدث للأمة في الأيام الأخيرة، أو على حد تعبيره في الأيام المقبلة، فكشف له عنها في رؤيا أخرى، جاء فيها .

" ثم رأيت انا دانيال، فإذا بأثنين آخرين وقف كل منهما على ضفة من ضفتي النهر، سأل أحدهما الرجل اللابس الكتان الواقف على مياه النهر:

- متى ينقضي زمن هذه الأحداث العجيبة؟

فسمعت الرجل اللابس الكتان الواقف فوق مياه النهر يقول، وبعد أن رفع يديه نحو السموات مقسماً بالحي إلى الأبد:

- تنقضي هذه العجائب بعد ثلاث سنوات ونصف حين يتم تشتيت قوة الشعب المقدس.

فسمعت ما قاله ولكني لم افهم فسألت:

- ياسيدي ماهي آخر هذه؟

فأجاب:

- أذهب يا دانيال لأن الكلمات مكتومة ومختومة إلى وقت النهاية، كثيرون يتطهرون وينتقون ويمحصون بالتجارب، أما الأشرار فيرتكبون شراً ولا يفهمون، إنما ذو الفطنة يدركون، أما الفترة ما بين إزالة المحرقة الدائمة وإقامة رجس الخراب، فهي أفان ومئتان وتسعون يوماً، فطوبى لمن ينتظر حتى يبلغ إلى الألف والثلاث مئة والخمسة والثلاثين يوماً، وأما أنت فأذهب إلى آخرتك فستريح، ثم تقوم نهاية الأيام لتثاب بما قسم لك." (119)

شاهد دانيال في هذه الرؤيا رجلين يقف كل واحد منهما على ضفة نهر دجلة، فسأل أحدهما الرجل أو الملاك الذي قدم خصيصاً ليخبر دانيال بما سوف يحدث لأمته في المستقبل البعيد، وعن نهاية أو انقطاع تلك الوقائع المحيرة للعقول، والباعثة على الخوف والرهبة.

وكان الرجل دقيقاً في إجابته عن ذلك السؤال، فبعد ان حلف بالله تعالى يميناً مغلظة، صارمة بأن نهاية تلك الوقائع الدامية تأتي بعد ثلاث سنوات ونصف من تفكك الأمة وانحلال وحدتها وتفرقها في مختلف بقاع الأرض.

ولما كانت النبؤة في حد ذاتها صعبة الإدارك وعصية على الفهم والتصور، فقد تساءل دانيال عما سوف يعقب هذا الشتات والتفرق، فمهد الرجل في رده عليه بأن أحداث وقائع تلك الأيام هي في علم الله تعالى ومقدرة بآجالها المحددة، ولا يطلع عليها الا من اصطفاءه الله وآثره بالكشف عن غموضها وأسرارها.

ثم بّين له أن الفترة الزمانية بين تعطيل العبادة في الهيكل ونصب الأوثان وتقديم القرابين لها، والبالغ عدد أيامها ألف ومئتان وتسعون يوماً، تمثل نهاية لزمان جرت فيه تلك الأحداث، وبداية لزمان أحداثه ووقائعه على خلاف تلك التي مضت، ولذا أبدى الرجل سعادته وغبطته لكل من يمتد به العمر حتى يصل إلى الألف والثلاث مئة والخمسة وثلاثين يوماً.

إن نبؤة دانيال بصرف النظر عن أعداد السنوات والأيام تشير إلى واقعتين حاسمتين في تاريخ أمته:

الأولى: إبطال العبادة في الهيكل وبيت الله وإحلال العبادات الوثنية فيه، وهذا ما حدث ثلاث مرات متباعدة في الزمان على النحو الذي بيناه من قبل.
والثانية: تشتت الأمة وتفرقها بين الأمم تشتيتاً لا مثيل له في التاريخ، وفيه لا يفقدون فقط وطنهم، بل أيضاً المدينة المقدسة التي تتداولها الأمم والشعوب، أمة بعد أمة وشعب بعد شعب.

وعُرفت هذه الحقبة الطويلة في المصطلح التوراتي باسم أزمنة الأمم، ويراد بها الفترة التي يفقد فيها اليهود وحدتهم كأمة، وتؤول فيها الارض والمدينة المقدسة إلى غيرهم وإلى آخر الايام أو نهاية الزمان، كما تنبأ دانيال في آخر نبؤة له، وقبل مفارقته للحياة بفترة وجيزة.

ولعل المثل البارز والجامع بين هدم الهيكل وتشتيت الأمة هو ما جاء في سفر الملوك الأول، حينما ظهر ملاك الله لسليمان عليه السلام بعد اكتمال بناءه ينبئه بما سوف يحل به وبأمته في آخر الايام قائلاً:

" ... أما إن انحرفتم أنتم أو ابناؤكم عن اتباعي ولم تطيعوا وصاياي وفرائضي التي سننتها لكم، وغويتم عابدين آلهة أخرى وسجدتم لها، فأني ابيد اسرائيل على وجه الأرض التي وهبتها لهم ، وأنبذ الهيكل الذي قدسته لاسمي ، فيصبح اسرائيل مثلاً ومثار لجميع الأمم، ويصبح هذا الهيكل عبرة لكل من يمر به، فيصفر ويتساءل لماذا صنع الرب هكذا بهذه الأرض وبهذا الهيكل."[120]

وآخر الأمم التي سادت فلسطين وتحكمت في المدينة المقدسة وطبعتها بطابعها المميز هي الأمة الإسلامية، وذلك أثناء خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي حضر شخصياً لاستلام مفاتيح المدينة، ولما أقترب من بيت المقدس استقبله البطريرك صفرنيوس الملقب بحامي الكنيسة المعسول اللسان، وذلك عام 15 هـ الموافق لعام 636م ، ودخل عمر المدينة ودخل وراءه المسلمون مهللين ومكبرين.

وكان أول عمل قام به عمر رضي الله عنه أن زار كنيسة القيامة، ولما كان في داخلها حان وقت الصلاة، فأشار عليه البطريرك أن يصلي داخل الكنيسة، فأبى وصلى في مكان على مقربة منها.

ثم زار عمر رضي الله عنه مكان الهيكل، وكان في حالة خراب تجمعت فيه الأقذار، فأصبح عبارة عن مزبلة، فراح يزيل التراب بكفيه، وحذا الصحابة حذوه، فراحوا ينظفون المكان، وبرزت الصخرة، وأمر عمر أن يبنى هناك المسجد، فبنى المسجد وكان من خشب عام 637م.

ولعل البطريرك صفرنيوس هو وحده الذي ربط بين إقامة المسجد الأقصى على أنقاض الهيكل ، وبين نبؤة دانيال الأخيرة ، فقال لأحد مرافقيه:

- هذه رجسة الخراب التي تكلم عنها دانيال ورآءها قائمة في المقدس. [121]

ومراده أن بناء المسجد الجديد يحقق نبؤة دانيال بشأن قيام البناء الغريب موضع الهيكا الذي ظل في مكانه هذا منذ عام 1012 ق. م وحتى دخول المسلمين المدينة

المقدسة، كما هو أيضا محقق لنبؤة الملاك لسليمان عليه السلام عند تدشين الهيكل فيما يتعلق بآخر الأيام، أو الأيام المقبلة.

ويمكن تحديد بداية انتهاء أزمنة الأمم، أو على حد تعبير دانيال نهاية الأمم، بظهور المد القومي في أوربا وانهيار الملكيات وزوالها، أي في العصر الحديث، وذلك لأن العصور الحديثة قد شهدت ضغطاً ملحوظاً في الهوية الدينية لدى الأوربيين، وتزايد كبير في الجانب القومي والهوية العرقية، ولذلك أجبر اليهود على تحديد انتماءهم القومي حتى يتم تنفيذ الحقوق التي يحصلوا عليها كمواطنين متساويين مع غيرهم في الحقوق والواجبات.

وبهذا تحرر اليهود من الجيتو، ومن كثير من القيود الصارمة التي كانت تحد من حركتهم في الحياة، فكان هذا إيذاناً بانطلاقتهم الكبرى لتحقيق أحلامهم، ليس فقط إلى المدينة المقدسة، بل أيضاً إلى سابق عزهم ومجدهم وعلوهم في الأرض.

الهوامش:

(1) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، الطبعة الأولى، القاهرة، شركة ماستر ميديا ، بدون تاريخ نشر – سفر دانيال 2:3 -11

[2] سفردانيال – 2: 12-13

[3] سفردانيال – 2 : 12 - 15

[4] سفردانيال – 2 : 16

[5] سفردانيال – 2 : 17 – 18

[6] سفردانيال – 2 : 24

[7] سفردانيال – 2 : 25 - 28

[8] سفردانيال – 2 : 29 - 30

[9] سفردانيال – 2 : 31 - 35

[10] سفردانيال – 2 : 36

[11] سفردانيال – 2 : 37 - 45

[12] ول ديورانت، قصة الحضارة ، الطبعة الأولى ، ج (11) ن القاهرة ، جامعة الدول العربية ، الإدارة الثاقافية ،بدون تاريخ نشر ، ص192

[13] المرجع السابق – ص 194

[14] المرجع السابق – ص 195 - 196

[15] المرجع السابق – ص 197

[16] المرجع السابق – ص 198
[17] المرجع السابق – ص 400 - 401
[18] المرجع السابق – ص 406 - 407
[19] المرجع السابق – ص 409 - 410
[20] المرجع السابق – ص 411- 412
[21] سيد أحمد علي الناصري ، الإريق تاريخهم وحضارتهم ،الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ،1976، ص 466- 470
[22] المرجع السابق – ص 414 - 515
[23] المرجع السابق – ص 519 - 522
[24] المرجع السابق – ص 528
[25] المرجع السابق – ص 530
[26] المرجع السابق – ص 534
[27] سيد أحمد علي الناصري ، الإريق تاريخهم وحضارتهم ،الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار النهضة العربية، 1978،ص 9
[28] المرجع السابق – ص 14 - 15
[29] المرجع السابق – ص 18 - 21
[30] المرجع السابق – ص -151 150
[31] المرجع السابق – ص 243- 244
[32] سفر دانيال 45:2
[33] سفر دانيال 3: 1 -6
[34] بطرس عبدالملك ،قاموس الكتاب المقدس ، الطبعة الثانية ، بيروت ، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ،1971م ، ص 954.
[35] سفر دانيال 3 : 7
[36] سفر دانيال 4 : 9 -17
[38] سفر دانيال 4 : 18
[38] سفر دانيال 4 :19
[39] سفر دانيال 4 :19
[40] سفر دانيال 4 :19
[41] سفر دانيال 4 :20 - 26
[42] سفر دانيال 4 : 27
[43] سفر دانيال 4 : 28 - 32
[44] سفر دانيال 4 :33
[45] سفر دانيال 4 :34 - 37

[46] بطرس عبدالملك ، قاموس الكتاب المقدس ، ص61.
[47] سفر دانيال7 : 1
[48] سفر دانيال 7 : 2 - 14
[49] سفر دانيال 7 :15 - 21
[50] سفر دانيال 7 : 27 - 28
[51]ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ج(2) ، ص 399، 400.
[52] بطرس عبدالملك ،فاموس الكتاب المقدس ، ص 153 ،154
[53] سفر حبقوق ،1 :10
[54] ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ج(2) ، ص 400
[55]بطرس عبدالرحمن ، قاموس الكتاب المقدس ، ص 830 – 831 .
[56] سيد احمد علي الناصري ن الاغريق تاريخهم وحضارتهم ،555 ،567.
[57] المرجع السابق ، 571 - 572
[58] ول ديورانت ، قصة الحضارة ،ج11، ص27.
[59]سيد احمد علي الناصري ن الاغريق تاريخهم وحضارتهم 162 - 163
[60] ول ديورانت ، قصة الحضارة ،ج11، ص 374
[61] سيد أحمد علي الناصري ، تاريخ الامبراطورية الرومانية، ص218 – 219..
[62]المرجع السابق – ص 240 – 241 .
[63] المرجع السابق – ص 265 – 266..
[64]المرجع السابق – ص 380
[65] المرجع السابق – ص 380.
[66] سيد أحمد علي الناصري ، تاريخ الإمبراطورية الرومانية، ص 312 -313.
[67] ول ديورانت ، قصة الحضارة ،ج11، ص382.
[68] سيد أحمد علي الناصري ، تاريخ الامبراطورية الرومانية، ص 220 - 422.
[69] ول ديورانت ، قصة الحضارة ،ج11، ص430.
[70] سيد أحمد علي الناصري ، تاريخ الامبراطورية الرومانية، ص 430.
[71]المرجع السابق – ص 435.
[72] المرجع السابق – ص 435 - 436.
[73]المرجع السابق – ص 443،441، 445.
[74] ابو الفتح محمد بن عبدالكريم ابوبكر أحمد ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، البطعة الأولى،الجزء الأول ، القاهرة ، شركة كتبة ومطبعة مصطفى البابلي الحلبي ، 1976م، ص 223. .
[75]عبد الأحد داؤود البابي محمد في الكتاب المقدس ، الطبعة الأولى ،قطر دار نصباء للنشر والتوزيع، 1985م، ص 26 - 27 .

[76] المائدة – 17. .
[77] المائدة - 73.
[78] المائدة -73.
[79] سفر دانيال 8 : 1- 2.
[80] بطرس عبدا لملك ، قاموس الكتاب المقدس ،ص 341..
[81] سفر دانيال 8 :3 - 4.
[82] سفر دانيال 8 :19 - 26.
[83] سفر دانيال 8 :19 - 26.
[84] ول ديورانت ، قصة الحضارة ،ج(2) ، ص 21 .
[85] المرجع السابق ، ص237..
[86] سفر دانيال 8 : 27.
[87] سفر دانيال 9 : 1 - 3.
[88] سفر دانيال 9 : 5 - 1.
[89] سفر دانيال 9 : 8 - 9.
[90] سفر دانيال 9: 10 - 12.
[91] سفر دانيال 9 : 13 - 16.
[92] سفر دانيال 9 : 17.
[93] سفر دانيال 9: 18 - 12.
[94] سفر دانيال 9: 22 - 24.
[95] سفر دانيال 9: 26 - 27.
[96] بطر سعبد الملك ،قاموس الكتاب المقدس ، ص 155 - 157.
[97] ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ج(2) ، ص179 – 180.
[98] سفر دانيال 9 : 1 - 2.
[99] سفر آرميا 29: 11 - 12.
[100] سفر آرميا 29: 10 - 11.
[101] سفر دانيال 9 : 2.
[102] سفر دانيال 9 : 5 - 19.
[103] سفر دانيال 9 : 21 - 22.
[104] سفر دانيال 9 : 24 - 23.
[105] سفر دانيال 9 : 24 - 27.
[106] ول ديورانت ، قصة الحضارة ، ج(11) ، ص 301.
[107] المرجع السابق – ص 314..
[108] المرجع السابق – ص320.

[109] انجيل متى – 24 : 15 - 16.
[110] سفر دانيال 10 : 2 - 3.
[111] سفر دانيال 10 : 4 - 5
[112] سفر دانيال 10 :7 - 9.
[113] سفر دانيال – 10 : 10 - 11.
[114] سفر دانيال 10 : 12 - 14.
[115] سفر دانيال 10 : 15 - 17.
[116] سفر دانيال 10 : 18.
[117] سفر دانيال 10 : 20 - 21.
[118] سفر دانيال 11 : 1 - 4.
[119] سفر دانيال 12 : 5 - 13.
[120] سفر دانيال 12 : 13 – 17 .
[121] عباس البدوي ، تاريخ القدس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، دار العروبة ، 1981 ، ص 121.